خمسة× خمسة وعشرين

هدى عبد الله

وزارة الثقافة



رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد نوار
رئيس الإقليم
سامية فياض
مدير الفرع
أحمد العدوى

مدير التحرير
أ.د / رزق حسن عبد النبى
الإخراج الفنى
د. أحمد عطيتو
التدقيق اللغوى
خالد صالح
المتابعة الإدارية
هنية باشا محمد
صلاح محمد سيد

• خمسة× خمسة وعشرين
• هدى عبد الله
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القناة وسيناء
2007 م
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور
• رقم الإيداع: ١٤١٥٦/ ٢٠٠٧
• الترقيم الدولى: 2-378-437-977
• المراسلات:
إقليم القناة وسيناء
٦ ش عدلى والجيش بالإسماعيلية
بريد: ٤١٥١١ ت.ف: ٠٦٤/٣٩٢٢٦١٢

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 3904096

إلى الأستاذ العزيز
الصديق / صلاح السيد أحمد
أهدى له أول مطبوعاتي
مع تحياتي
هدى عبدالله

خمسة × خمسة وعشرين

خمسة× خمسة وعشرين

خمسة× خمسة وعشرين

فى صباح ذلك اليوم قادتها خطواتها إلى باب المحكمة بعد ما قضت ليلة البارحة بين الصلاة والدعاء آملة فى أن يفرج الله عن أخيها هذا الكرب العظيم هو ومن معه.

كانت دقات قلبها كطبول حرب، يعلو صداها فى الأفق، ويسد أذنيها وكلمة لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله تلتحم بفؤادها ، ودموعا ضاعت محاولاتها سدى فى إخفاقها ، فاليوم اليوم يوم الفصل ، البدء أو الانتهاء.. يارب ..يارب... كانت كلمة يارب تصعد من بين شفتيها لتتلقفها دموع الرجاء فى رحمة الله تعالى، كل ما بداخلها يرتعش، ينتفض ، قلق محتم يحيطها ويغلفها، أسقطت كل الناس من الذاكرة سوى «أمجد» ذلك الأخ المقرب إلى قلبها والدعاء له بالعودة، تعلقت بباب السماء كأنها راهبة يخلو فكرها من أى أمل أو رغبة فى الحياة دون هذا الدعاء الذى لازمها طيلة ليلتها.

المسافة بين المنزل والمحكمة ليست بقصيرة، آثرت السير رغبة فى العزلة، أرادت أن تنفرد بالدعاء ففى الدعاء فرصة للأمل، كل الأمل وسلكت طريقا هادئا ليكتمل الانطواء دون أن يعكر عليها صخب المارة صفو هذه الخلوة، وبدون رغبة منها فى التذكر .. استدعتها الذاكرة لتتصفح معها أحداث المحنة، ووقت ولادة الكرب... فى ذلك اليوم.

أمام المنزل تقف سيارتان اختفت إحداهما خلف المنزل المكون من

ثلاثة طوابق، والأخرى ظلت قابعة وقت غداء والساعة تقترب من الثالثة إلا الثلث عصرا، أطل أمجد من شرفة البيت الذى يملكه أبوه، يسكن الدور الأول منه أخوه وزوجته ، أيضا يوجد (جراج) لسيارتهم، حيث إنهم يمتلكون سيارة (بيجو أجرة) تساهم فى نفقات المعيشة خاصة أن الوالد رجل مسن بالمعاش قد أتيحت له فرصة السفر إلى بلد عربى عدة سنوات كان نتاجه هذا البيت، وتلك السيارة، أما «أمجد» فهو بالسنة النهائية بكلية الحقوق، مرتبط بإحدى قريباته، يحبها حبا شديدا، يتمتع بحسن الخلق، صاحب قلب طيب، محبوب من الجميع، له قبول ووجه سمح طلق به بشاشة وبهاء، كثيرا ما كان يحل محل سائق سيارتهم الأجرة بالتناوب مع أخيه عندما كان يتعثر عليهم إيجاد سائق ، فلما ناداه هذا الصوت فإذا بـ «عصام» يستقل سيارة بيضاء «فيات» وقد تعرف عليه من خلال عمله كسائق أجرة قام معه بعدة سفريات إلى القاهرة مقابل مبلغ مجز من المال، ولما فشل «أمجد» فى أن يقنع «عصام» بالصعود إذ أخبره بأن هناك شيئاً مهماً يحتاج إليه فيه وقد اتصل به تليفونيا قبل مجيئه ولم يخبره أيضا ماذا يريد، استنتج «أمجد» أن الموضوع ربما يكون له علاقة بسفر جديد يدر معه ربحا لا بأس به وهو الخاطب المسئول والدارس أيضا، فهم من فوره بالنزول بعد ما كان يتعجل الجميع فى إحضار الطعام مهللا بخفة ظل أنه جائع ولا يستطيع الانتظار، نسى كل هذا وارتدى حذاءه على السلم من فرط العجلة، يقول فى سريرة نفسه يارب يكون فيها لقمة عيش، نفسى أجيب «لنهى» (خطيبته) هدية حلوة فى عيد ميلادها ، ربنا يسهل.

نزل «أمجد » ليقابل عصام فإذا بعصام داخل السيارة على

جانبيه رجلان يتوسطهما ، وأشخاص آخرون ينزلون من السيارة يزجون بأمجد داخلها ويفرون مسرعين ، كذلك السيارة المختفية خلف المنزل «بيجو بيضاء» ٧ راكب بها عدة أشخاص لم تظهر إلا بعد ما قرت الأولى، والجميع يقفون بالشرفة ليشاهدوا هذا المشهد غير المفهوم بينما نزلت «إيمان» أخته الكبرى التى لم تحظ إلا بغبار السيارات تقف مندهشة، ووقف الجميع فى الشرفة مندهشين للحظات، كذلك بعض الجيران وكأن على رؤوسهم الطير، يسأل بعضهم بعضا ما الأمر وما الذى حدث؟،، من بينهم الدكتور / عبد العزيز الخولى الذى شاهد السيارات وهى مسرعة، وأمجد بداخل واحدة منها ، وكانت إحدى سياراتهم بمثابة أن تؤذى سيارة الدكتور لما كان متوجها إلى منزل والد أمجد لحظة اندفاعها حيث أنهم جيران وأصدقاء وتربطهم علاقة حب واحترام، أما حالة والده «الحاج محمد» حينئذ كانت غير مطمئنة، القلق يمزقه وينأى به بعيدا لحدوث مثل هذا التصرف الغريب، وعندما سأل «الدكتور» ما الخبر؟

قصوا عليه ما حدث فتعجب لذلك ولم يبد تعلقا!

(لماذا نادى عصام على أمجد؟ من هم الذين معه؟ وما هذا الذى فعلوه؟ لا أحد يدرى!)

لم يبق أمام الجميع إلا الانتظار ، ومضت الساعة، والساعة والنصف، والساعتان، والجميع فى قلق يتزايد، كان الوقت يمر ثقيلا بطيئا .. مملا، وكان الصمت هو سيد الموقف، وفجأة يقطع هذا الصمت المريب ذلك الرنين التليفونى،.. فتهرع «إيمان» إلى التليفون وتلتقط السماعة بلهفة شديدة.

ـ آلو مين... أمجد ..أنت فين ، نشفت دمنا يا شيخ (يحدثها

بتحفظ شديد ليس كعادته معها، الصوت العالى ، والمزاح، والسرعة، والطلاقة والاسترسال فى الحديث، كان هادئا هدوء الخائف المتوجس، كلماته موجزة جدا.

- إيمان ..أناكويس

- آمال إيه اللى حصل ده؟ قلقتنا عليك..

- معلهش.. ده صحابى بيهرجوا معايا!!

- بيهرجوا ؟

كان الأب قد اقترب من إيمان يريد أن يحدثه ، فتهمس إيمان؟

- هتقول لبابا إن أنتم كنتم بتهرجوا؟. (ثم بصوت مرتفع) بابا معاك أهو

الأب فى لهفة وتوجس: أيوه يا أمجد فيه إيه يا بنى؟

- أبدا يابابا .. ده .. صحابى بس كانوا بيضحكوا معايا!

- والد أمجد مندهشا: بيضحكوا معاك؟

ولم يبد أمجد تعليقا على كلام والده منهيا حديثه: أنامش هتأخر، ع الساعة ٦ هكون فى البيت إن شاء الله .. سلام.

- والده بهدوء مقلق، مع السلامة.

حاول الجميع أن يهدأ بعد هذه المكالمة الغريبة، كان شىء ما يقلقهم ، لكن لابد لهم من الانتظار، الوقت يحرق أعصاب الوالد بقدر ما كان يحرق من سجائر، ووافتهم السادسة، ولم يأت أمجد، مر الوقت ، مر الليل كله دونما أمجد، والدته تحاول أثناء ذلك الوقت أن تهدىء زوجها ، وهى القلقة المتوترة ، تخفى هذا كله وراء كلمة تقولها بهدوء قلق:

- دلوقت يجى!

فيلتفت إليها الأب بنظرات باهتة مستسلمة: تفتكرى ابنك هيرجع؟؟؟

ـ «إيمان» وقد تملكها خوف رهيب من مجهول : يارب استر

(مازالت إيمان فى نهر المشاعر تخطو بخطوات قلقة مؤلمة، لا تبطىء بها ولا تعجل، تنساب دموعا كثيرة من عينيها إثر تذكرها الحدث، تتدفق من خلف نظارتها السوداء، تكاد ترى الطريق ضبابا ولكن لابد من مواصلة السير، تحدث نفسها وكأنها تتمتم ببعض العبارات)

ـ لن أنسى ما حييت هذه الليلة البائسة فقد ظللنا على هذه الحال حتى الساعة التاسعة صباحا، وإذا بجرس التليفون مرة أخرى.

رفعت السماعة فى اضطراب ولهفة: آلو..

ـ آلو.. منزل أمجد محمد

ـ أيوه

ـ هو دلوقتى فى مجمع المحاكم ، هاتوا معاكم محامى كويس وتعالوا على هناك، أنا واحد من المحكمة وطلب منى إنى أبلغكم .. سلام عليكم؟

ووضعت السماعة... كنت أتلمس طريقى إلى وضعها فقد أربكنى ما سمعت ، أخبرت به أبى فهم من فوره يرتدى جلبابه دون أن يتكلم كثيرا أو يتناقش فى شىء، وكأنه كان يتوقع شيئا أكبر من ذلك فحمد الله أن أخى مازال موجودا وسوف يراه، هكذا تصورت أنا، أما أمى فكان حالها أى حال! كانت تدور فى الغرفة وتلف وتبحث عن ثوبها الأسود وهو بين يديها، وارتديت أنا الأخرى ثوبا أسود دون تفكير ، حاولت أمى أن تبقينى فى المنزل بلا جدوى،

هرعنا جميعا إلى المحكمة، نسأل ونستطلع الأمر واخترقنا هذا الباب الذى ما اخترقناه من قبل، لن أنسى إحساس الرهبة الذى تملكنى عند الدخول، كأن بى فى دنيا أخرى وعالم ساخر كبير، ألمح من يضحك، اصطدم بدموع حائرة، اتخبط فى أناس يفترشون الأرض ألما وذهولا، وأرى من يهرول وراء محام ليسأله «هى الجلسة أمتى يا بيه»؟، وأسئلة أخرى تترامى إلى أذنى: تفتكرى هيطلع يا خالتى؟ - دى آخر جلسة، دى اللى فيها الحكم، ربنا يستر، ومحامى يقول لموكله: حضرت باقى الفلوس واللا إيه حكايتك بالضبط (أما الموكل فمعدم بالكاد تحمله قدميه)

لم يخطر ببال أحدنا فى يوم من الأيام أننا سوف نخترق هذا الباب بحثا عن حبيب وأى حبيب، صعدنا هذا السلم الممتد إلى الطابق الثالث لنجد (أمجد) أمام مكتب وكيل النيابة واقفا على بعد، على وجهه مسحة من الحزن والأسى، تدور عيناه فى رأسه بحثا عنا، وأرى بعض الشباب على أعتاب المكتب، وقد جعلوا من الأرض مستراحا لهم فافترشوا هذا البلاط منتظرين أمر الله، حاولنا أن نقترب منه لكننا منعنا من الوصول إليه، أشار لنا أمجد أن نبتعد حتى لا يؤذينا أحد بحركة أو بلفظ جارح خاصة وأن «العساكر» يحومون حولهم متيقظين مستعدين لأى حركة غير عادية، كنا نعتصر رعبا وألما، وقد جاء أبى بالمحامى ليبلغنا أسوأ مات سمعنا، لينزل بنا هذا الخبر نزول الصاعقة.

أمجد متهم بإحراز كيلو هيروين بقصد الاتجار فيه.

هوينا إلى أسفل سافلين، كادت أمى أن يغشى عليها، وكذلك أنا .. كيف ... كيف ذلك وقد نزل أمامنا مجرد من أى شىء ، لم يدخل

بيتنا ضابط واحد، سرقوه منا واستدرجوه دون وجه حق ولا ذنب، قد كان يرتدى حذاءه على سلم البيت، لم يفتش أحدهم بيتنا فيظهر هذا الكيلو الهيرويني منه، يارب ماذا أسمع ما الذى يحدث؟ ما كل هذا؟ رب لا أسألك رد القضاء لكنى أسألك اللطف فيه، أخى متهم؟ وهو الذى يستعد للتخرج ويهيىء نفسه للزفاف بعده!

كاد أن يكون على أعتاب التخرج مثل كل ما أراهم أمام عينى الآن، يروحون ويجيئون فى تؤدة وثقة بالنفس، كان سيصير واحدا منهم قريبا، وربما كان أفضلهم، أما الآن فهو يحتاج إلى من يحميه ويدافع عنه، لك الله يا أخى لك الله، وغير الحزن أبى« فبدله تبديلاً ، كأنما قد أسقط قلبه فى جوفه، أصفر وجهه وزاغت عيناه ، لكنه يحاول الصمود يحاول أن يمد يده فى جوف القاع لينتشل ولده من ضياع محقق.

تركنا أبي ونزل سلم المحكمة وحده، وأنا أحاول ملاحقته ، إلى أين تذهب يا أبى؟ قال: سآتى لأخيك ببعض الطعام والسجائر، وقد كان.

عجبت من صلابة أبى وزاد تبجيلى واحترامى له فبرغم هذا الكم من الحزن المغدق عليه من كل اتجاه إلا أنه كان ثابت الإيمان يحاول التماسك.

ولما تحدثنا إلى المحامى قال: إن أمجد متهم فى قضية فى منتهى الخطورة.

قالت أمى: أفهم من كده إنه مش هيرجع معانا (كانت أمى تظن أنه بمجرد وجود المحامى سوف تحل المشكلة ويعود أخى إلى البيت مرة أخرى)

قال المحامى: إدعى له يا حاجة!

ثم أبلغنا بعد ذلك أن النيابة أمرت بالحبس الاحتياطى له ولمن معه وعددهم ثمانية أشخاص وهو تاسعهم بالحبس الاحتياطى لمدة ٤٥ يوماً على ذمة التحقيق!

ومارت بنا الأرض، لقد كان أملنا كبيراً فى عودته معنا، لكن الأمر لله وحده.. بلل الدمع لحية أبى وثوبه وعدنا بدون أخى، وتذكرت أبى عندما قالها كلمة لأمى: (هل تظنين أن ولدك سوف يعود).

جميعنا كان يداوم على الصلاة، واقتربنا من الله أكثر، أما أبى فهو من عادته أن يصلى فى الجامع القريب من منزلنا، ويحدثه الجميع فيما حدث لولده فيحاول أن يدافع عنه خشية أى ظن فمنهم من كان يرحمه ويؤيده ويمدح فى ولده، ويدعو له بالصبر على بلواه ، ومنهم من كان يقول له وجها لوجه باستخفاف أكيد له صلة بالموضوع أمال يعنى إيه، فيعود إلى إلى المنزل حزين مجهد الأعصاب دامع القلب.

وتوالت الزيارات بعد ذلك داخل القسم التابع له حينا وكنا فى تمام الثالثة عصرا نذهب له بالطعام والسجائر داخل القسم وكانت الزيارة عبارة عن دقيقتين أو ثلاث دقائق ، يحتجز فى غرفة صغيرة بها كم من البشر لا بأس به، يجلس الجميع مع بعضهم البعض بالملابس الداخلية لشدة حرارة الغرفة إثر الأنفاس المتصاعدة ودخان السجائر فيها، وقد أوضح لنا بعد ذلك ما الذى أجبره على السكوت حين حدثنا بالتليفون ، ولماذا لم يخبرنا أين هو حتى يتثنى لنا إخراجه خاصة وأنه لم يقبض عليه متلبسا ، ولا حتى يوجد هناك

أمر تفتيش.

ألصق الكهرباء بجسمي حتى لا تسول لى نفسى أن أخبر أحدا فيكم أثناء المكالمة، فإذا وجد محامى ساعتها كان من الممكن أن ينتهى الأمر داخل القسم دون أن يحول المحضر إلى النيابة، ولكن الأمر الآن يختلف تماما فقد أجرى التحقيق وتحول إلى النيابة، ثم يستطرد قائلا: ياه ده الكهرباء دى شىء فظيع.

ـ كهرباء! ماذا تقول؟

ـ قال: لقد كانت تتوسط عمودى الفقرى، حتى يتثنى للضابط أن (يعمل شغل ويقفل القضية) وحتى لا يتسطع أحد منا أن ينقذه وتكتمل فصول المسرحية على أكمل وجه، فبكم القضايا تعلو مراتب الضباط والقادة ولا يهم حينئذ من الظالم ومن المظلوم؟، يهضم الحق عندما تنقصه القوة وينصر الظلم عندما تدعمه ولكن... إلى حين، أين هم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعوتان لا يردان، دعوة المظلوم والصائم حتى يفطر) هل كانوا أقوى من الحق فسحقوه أم أنهم أقوى من صاحبى الحقوق فاغتالوهم، يالا الحكمة القابيلية، وقانون الغابة الهمجى بل أن قانون الغابة ربما كان أرحم من قوانينهم بكثير، حيث لاتستخدم القوة إلا عند الضرورة مثل الخوف أو الجوع ، أما من أكل وأصابته تخمة الشبع فمازال يتلذذ ببقايا الآخرين، ويبقى سؤال «أهى السلطة والخوف على المناصب أم غياب الإيمان والمبادىء والضمير»..

يحلف له الضابط أنه لو اعترف سوف يخرجه الليلة ويبيت فى بيته، يحلف (وحياة ابنى لا أطلعك وتنام فى بيتكم واريحك خالص من العذاب ده وهما كلمتين وخلاص وتمضى على المحضر ده

وتروح)!!!

وكان الضباط الأفاضل قد عثروا على كمية من الهيريون معه «عصام» داخل سيارة أجرة لصاحبها «عيسى» الذى كان لا يعلم شيئا عن هذه الجريمة برمتها غير أن حظه العاثر ألقى به فى بؤرة الاتهام فقد كان مجرد سائق، حيث كان الكمين الذى نصب لعصام وآخر اسمه عبد الرؤوف كانا معا، وسيق عصام وعيسى وعبد الرؤوف إلى الحبس، وهناك أرشد عصام عن باقى الكمية التى يحرزها عنده فى المنزل وبالفعل اتجهوا إلى هناك حيث كان يحتفظ به فوق الدولاب فى حجرة نومه، وبسؤال عصام قال أن هذه الأشياء ليست تخصه ولكنها تخص شخص اسمه «فوزى» وكان عليه أن يخبر الضابط بعنوانه أو رقم تليفونه ، فقال أن «أمجد» هو الذى يعرفه ويعرف عنوانه، وبالفعل ذهبوا إلى بيت «أمجد» لا ليسألوه فحسب ولكن ليزداد الكم وتحبك القضية ، فكانت الحيلة حين نادوا على «أمجد» بطريقة خبيثة فنزل، فأجرى التحقيق واحتفظ بأمجد متهما لا مرشدا عن عنوان شخص ما ألا وهو فوزى ، فقد كان يعرف عنوانه لأنه خال صديق له قام معهم أيضا بعدة سفريات فى وجود عصام أحيانا، كانت السفريات للقنطرة أو القاهرة، ومن هنا كان مجىء أمجد فلما سألوا أمجد فى القسم عن المخدرات قال لهم أنا لا أعرف شيئا عن هذا وليس لى به علم ، فقال له الضابط (أنت بس هتقولنا عن مكان فوزى لأن الحاجة دى بتاعته وانت راجل متعلم وفاهم أن مسائل زى دى وجودك فيها حتى ولو ما عندكش فكرة عن حاجة خالص فده يسىء إليك ولسمعتك وأنت واحد على وش تخرج) فقال أمجد : أنا معايا نمرة تليفونه ، فقال الضابط : اتصل به يا

عصام وقوله أنه يقابلك فى فندق (النزهة) وتلقى فوزى المكالمة وكان برفقته تسعة من الصعيد كانوا معه عند تلقيه مكالمة، وبالفعل هموا بركوب السيارة فلم تسعهم بالطبع فركب معه خمسة أشخاص فقط وغصب الآخرون(ولو اطلعوا على الغيب لحمدوا الله) فاتخذوا من المقهى مجلسا لهم حتى إذا انتهى أخوانهم من هذا المشوار تقابل الجميع فى المقهى، أعطى الضابط الهيروين إلى أمجد ليسلمه إلى عصام حتى يتثنى له أن يسلمه إلى فوزى عند وصوله فأخذه منه وبدوره اعطاه (للصعايدة) فأحس الصعايدة بشىء غريب فرفضوا استلامه، فى هذه الأثناء تم القبض على الجميع، وافتعل الضابط حكاية غريبة، وربط بين معرفة عصام وأمجد وفوزى ببعضهم البعض وكذلك وجود عيسى هذا السائق التعس فى نفس العربة مع عصام لحظة عمل كمين له حتى وإن كان لا يعرف شيئاً وأنه مجرد سائق وكذلك عبد الرؤوف والصعايدة كلهم اجتمعوا فى بوتقة واحدة، الظالم والمظلوم، اكتملت القضية ونشرت الجرائد على صفحاتها تسعة متهمين فى قضية هيروين ومن بينهم محام، شىء بشع.

الصحافة والظلم عندما يجتمعان «قول على الدنيا السلام»، وتندلع النار فى الهشيم والخبر السىء يزداد سوءا على سوء لا يهم من ينشر الخبر هل هذا الخبر له دليل وإثبات من الصحة والحقيقة أم لا ، يتناسى الجميع كل شىء إلا المادة وماتفعله للناس وما تضفى عليهم من لمعان وبريق ولباسا دنيوى زائف، إذا كانت النميمة مذمومة فى جميع الأديان فما بال الفاسق الذى يأتى بأنباء لا تنفع أحدا إلا هو وتابعوه ، وبكم المصائب وبكم التهم وبكم الفضائح يزداد التوزيع ويربح الآخرون ، ما يأكلون فى بطونهم إلا نارا، كلما

نزلت عليها آهات المظلومين ودموعهم ازدادت سعيرا، (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون).

ولا يفوتنى أن أقول عندما يبرأ المتهم الذى هو برىء حتى تثبت إدانته، ينشر فى صفحة الوفيات أقصد صفحة قبل صفحة الوفيات كلمتان بخط ربما كان أصغر من خط «الجرنال» العادى أن فلان ثبتت براءته هذا إذا اهتم الأهل أو الأقارب بنشر ذلك أما إذا لم يهتموا فيبقى الحال على ماهو عليه ويبقى من عرف أن فلانا قاتلا أو سارقا يظل فى نظره كذلك وتشوه سمعة الأهل والمجنى عليه أيضا (المتهم) ويبقى عليه أن يبرأ نفسه لكل من يقابله بعد ذلك على حدة وربما يحلف له إنه لم تكن له صلة بما حدث وأنه فعلا محض مظلوم ، وربما نظر إليهالسامع شزرا وقال فى نفسه(أمال إيه بس اللى جاب رجلك معاهم يعنى هما ماشيين بيمسكوا فى العالم عمال على بطال) وتظل النظرة إليه دونية حتى يجعل الله له مخرجا.

وبدأت رحلة العذاب وتوالى الحبس الاحتياطى وتجدد، وفى النهاية رحل أمجد من القسم إلى السجن التابع لمحافظة الإسماعيلية وهو كائن فى بورسعيد.

وتوالت الزيارات الشهرية، كانت أمى فى صباح ذلك اليوم تصحو مبكرة تصلى الفجر وتبدأ فى تجهيز الكراتين تملأها بالخضروات واللحوم ، وزجاجات المياة الغازية، والسجائر أهم شىء ذلك شىء ضرورى، فقد أكد عليه أمجد فى أكثر من مرة فبالسجائر داخل السجن(يقدر يمشى حاله) إذ كانت السجائر تحل محل النقود حيث لا يسمح للسجناء أن يحتفظوا بالنقود.

أما عن حالهم داخل السجن فيرثى له حقا، أخبرنى أخى ذات

مرة أن الواحد منهم إذا قام من مقامه لا يستطيع أن يحشر فيه مرة أخرى لينام فيضطر بعض الزملاء أن يضغطوا عليه بكل قوتهم حتى يتسنى له أن يلقى بجنب واحد على الأرض ربما يخلد إلى النوم، ومنهم من يعمل طيارة ينام عليها، وهذه الطيارة عبارة عن بطانية تربط فى ركن من أركان الغرفة وبحديد هذا الشباك المحفور القريب من سقف الغرفة ، وينام الواحد فيها بعيدا عن ذلك الهبو المتصاعد والأنفاس الخانقة ورائحة العرق، لا أصدق أن غرفة واحدة لا يزيد اتساعها عن ٤×٥ متر تتسع لينام فيها حوالى ٩٠ شخصاً أو ما يزيد وهنا يكتمل الخناق ويضج الجانى بما يرى ويلاقى، فما بال المظلوم ، أما عن يوم التفتيش فذلك يوم عصيب حيث تحلق الشعور ، ويجرح الشعور، وكل من لديه وعاء بلاستيكى يضع فيه طعاما له يؤخذ ويكسر ، بحجة أن المساجين من الممكن أن يؤدى بعضهم بعضا بهذا الأوانى. (هل هناك أكثر من ذلك إيذاء؟) أما من لديه ملابس تخالف اللون المطلوب حتى وإن كان بها خيط رفيع غير مرأى تؤخذ من المسجون ولا يراها أبدا، والله وحده هو الذى يعلم كم دفع ثمنا لهذا الملابس ، وناهيك عن هذا الضرب المبرح الذى ينزل عليهم من حيث لا يعلمون بعصى محرمة دوليا، هكذا كان الحال داخل السجن ومع ذلك كان لا يستقبلنا إلا بهذه الابتسامة التى يجتمع فيها خليط من الصبر والسخرية.

كانت أمى فى صباح ذلك اليوم تعد له وجبة شهية من لحم أو طيور الوجبة طازجة وساخنة بعض الشىء ، تظل طوال الشهر تدبر وتوفر حتى يتسنى له عمل زيارة محترمة بعض الشىء، فقد كنا نشاهد الزيارات المحترمة بحق وحقيق، يأتى زائر منهم يجر عربة

حديدية حمل عليها كراتين من ألوان المياه الغازية والماء المنقى من تين الجبل والفواكه المختلفة وأطباق الحلويات ، وكراتين أخرى لا يتبين لنا ما بداخلها من ذلك ينزل من السيارات المرسيدس ، يتقدمها معلم كبير ومعلمة أيضا، قد ظهر عليها رغد العيش حيث الملبس الفخم والأساور المرصعة بالفصوص التى لا نراها إلا فى الأفلام عليها بريق الغنى والارتياح، فيتضاءل حجمنا أمام هذه الزويرة التى أتينا بها إلى أخى كنا ننظر لبعضنا البعض بعد تأملهم والبحلقة فيهم كويس ونقول : أدى الزيارة واللا بلاش لكن ما باليد حيلة.

كان هذا اليوم يوم غير عادى بقدر ما كان فيه فرح للقائه بقدر ما كانت المرارة، فكنا نفترش الأرض أمام سجن (بورسعيد) بعد ما نؤيد الاسم فى الزيارة، ثم بـ «العسكرى» السؤال المعتاد سؤال (يحرق الدم) تهمته إيه؟ نضطر بمنتهى المرارة نرد فنقول مجبرين: «مخدرات» ، ينظر إلينا بطرف عينيه ويؤدى الاسم، ثم نعود فننتظر ، ويجالس هذا المجلس إناس كثيرون، إذ كنت أتوقع أننا الوحيدون الذين يدقون أبواب هذا السجن الكبير وكنت أخجل كثيراً بينى وبين نفسى من هذا الموقف(الناس هتقول علينا إيه) فزال عنى عندما وجدت هـ:' الجمع أمام باب السجن، كما هائلا من الناس حتى يظن الغادى إنه يمر بسوق كبيرة سلعتها بائرة مردودة على أصحابها حيث الألم والبلاء..

يجاورنا بائع للسميط وبوفيه للشاى ، كنت عندما انظر إليهم أتذكر هذا المثل مصائب قوم عند قوم..) من حولنا بائعون للمنتجات الأجنبية والمحلية وكل ما تتوق إليه من ملبس ومأكل، وبعد حين يتعطف علينا (العسكرى) وبكل وقار واعتزاز بالنفس، يرفع حاجب

ويثبت الآخر، يقوم بتلاوة الأسماء علينا معتليا حجرا كبيرا، يتهافت الناس من حوله بأعناقهم يذكروني بطيور بيتنا عندما أرمى إليها ببعض حبات الأذرة أرى أعناقها تشرئب تتلقى المدد، حتى إذا ما سمعنا الاسم سعينا مهرولين ، كل منا يأخذ كرتونة على أم رأسه ليزج به فى طابور طويل ، تقف بباب الرحمة حيث يرجى فتحه ويكمن المنى فى تدخل النساء أولا مسرعات ، وهذا ليس من أصول الاتيكيت واحتراما للنساء وتفضيلا كما فى بادىء الأمر، ولكن لأن للرجال شأن آخر عرفته بعد ذلك، فلابد لهم من أن يختم لواحد منهم بخاتم السجن حتى لا تسول نفس أحد منهم له بأن يقوم مقام من يزوره فذلك لم يعرض على المختصين مرة أخرى عند الخروج وبذلك تضمن إدارة السجن عدم هروب مسجونين، وكان لهذا الختم شكل بشع إذ رأيته ذات مرة يتوسط ذراع أخى بحجم كبير وابن خالتى أيضا، وكان كل ذلك يهون عندما نبحث عنه بين المسجونين فنجده ينتظرنا باسما ضاحكا، وجهه الأبيض له براءة الأطفال وعفويتهم يفترش شريطاً من الحصير، لست أدرى من أين أتى به، يحجز لنا مكانا بجواره إذ يضج المكان بالزوار ، حتى أنك تظن أن نصف العالم داخل السجن وتسأل نفسك أحيانا (لم كل الناس دى جوة السجن أمال مين اللى براه) كنا نصطف فيأخذ كل منا دوره فى احتضان أخى ولمسه ولمس وجهه، وحسرة تتشعب فينا يحد منها بصيص من أمل، وكلمة كنا نسمعها منه دائما (أنا طالع يا عيال والله أنا طالع إن شاء الله، هطلع وبكرة هفكركم ، أنا ما عليش حاجة ده واحد بتاع بطاطا يطلعنى)

تبكى أمى حتى يحتقن وجهها وتهتز من شدة البكاء، ويهتز قلبى

ويكاد يعتصر لبكائها ، تقول له : أنا عارفة إيه بس اللى كان جابك هنا ، يرد أمجد وهو يلف أمى بذراعيه ، يقبل يديها محاولا تهدئتها ، وبصوت إيمانى يقول: نصيب يا أمى.. نصيب

وماهى إلا لحظات يأتينا (الشاويش) ليخبرنا أن موعد الزيارة قد انتهى، فيمسك كل منا بجزء من ملابس أخى يقبله وهو يدور بيننا يقبلنا قبلات امتزجت بالشوق والألم وقلة الحيلة والوداع الذى لا نملك سواه وابتسامة على وجهه لن أنساها أبدا ما حييت ..

ونعود مجبرين دامعين لا حول ولا قوة لنا إلا بالله ، نستقل سيارتنا لا نتكلم، صامتين وكأن كل واحد منا لا يعرف الآخر، والطريق طويل من السجن إلى بلدتنا، إذا نظر الواحد إلينا لا يرى منا سوى حزن دفين نفث عنه بعض الدمع، ونبقى على هذه الحال عدة أيام حتى تمر الأيام مرة أخرى ونعاود الزيارة له من جديد.

تمر الأيام بين إياب وذهاب للمحامى الذى يتولى القضية ودائما ما كان يؤكد لنا أنه سوف يخرج ولما حدد موعداً للجلسة قال المحامى لأبى قبل الجلسة مباشرة «اطمئن ابنك طالع أن شاء الله» كده أنا واصلنى منك ٨٠٠٠ جنيه ناقص ٢٠٠٠ مش كده واللا ايه، «يجاوبه أبى بخوف وقلق: بس هو يطلع بس...!

وحضر المحامى وترافع عن أخى لكنه حوله فى هذه القضية إلى مرشد.. إذا هو علاقة بالمتهمين بالفعل ولكنه أرشد عنهم، وذهل أخى من كلام المحامى وهو الذى درس القضية أكثر من أى شخص آخر، يعرف موقفه جيدا فى القضية، ويعرف ماذا يقال فى هذا الشأن وما لا يقال وكلما اعترض أخى بكلمة نظر له المحامى شزرا: ماتيجى تترافع بدالى، كاد أخى أن يجن ويتمتم لخطيبته وهى يجوار القفص

الحديدى بكل حسرة وألم «المحامى ضيعنى يا نهى.. المحامى ضيعنى».

كان قد مضى على القضية من جلسات وتأجيل للحكم، واستمرار للحبس ما يقارب من الثلاث سنوات.

ظللنا بالخارج ننتظر الحكم، وبعد وقت ليس بكثير سمعنا محامى «الصعايدة» يقول بصوت جهور «براءة براءة»

سمعت بعض الناس يقولون لأمى: مبروك يا حاجة.

تفترش الأرض، ترد بثقة وتؤأدة دون التفاتة منها إلى المحامى: ده محامى الصعايدة أسرعنا إلى محامى الصعايدة نسأله أنا وأختى وأبى «أمجد أخذ براءة؟» فلم يرد وقال لنا وهو مشغول بأوراقه أو أظنه تشاغل بها، أنه لم يسمع حكمه بل حكم «الأربع صعايدة فقط» قالها وهو يحاول إخفاء عينيه عنا، فلم نصدقه وأسرعنا مهرولين أنا وأختى دون أبى، دخلنا قاعة المحكمة وقد خلت من الناس إلا قليل، نبحث عن شخص نسأله، فلم ندر نسأل من؟ وإذا بصديق لأخى حميم جدا لم يزل بالقاعة فلما سألناه ادعى أنه لم يسمع الحكم مع أنه كان من بداية الأمر داخل القاعة، لم نصدقهم بالطبع، وسعى القلق فى أجسادنا ونما الخوف فى قلوبنا بيد أننا كنا نحاول طرده ونرجىء أى توقع غير توقع البراءة، وكان الحاجب مازال موجودا بيده لائحة الأحكام وبجواره محام لم نعرفه ، سألته برجفة ولهفة ورجاء وخوف ، أريده أن ينطق وأخاف أن أسمع ما لا يرضينى، أريده يفصح وأخشى ألا أحتمل ما كنت بالفعل قد توقعته: هو أمجد أخذ حكم؟

فطأطأ رأسه إلى الأرض وكأنما هو الذى أعطاه هذا الحكم

ويشعر بالذنب: أيوه
- أخد أد إيه؟؟
- فلم يرد:
- فالتهمت الورقة من الحاجب وأنا أقول قبل أن أنظر فيها ٢٥!!!
- فأطرق قليلا بينما وقعت عينى على دائرة حمراء حول (٢٥) كانت أمام اسم أمجد محمد المتهم الرابع.
- فقد أعطى القاضى رحمه الله رحمة واسعة للخمس متهمين كل واحد منهم خمسة وعشرين عاما خلف القضبان!!

فلم أدر بنفسى إلا وأنا أصرخ أنا وأختى ونهرول خارجين من المحكمة نريد أن نلحق به قبل أن يصعد إلى عربة السجن علنا نراه قبل أن يرحل إلى السجن، نجرى ونكاد أن نقع على الأرض تصرخ أختى بصوت عال، أنتحب أصرخ، والألم يمزقنى، لانرى من نحدثه ولا ندرى أين نذهب؟ فقد فارقت العربة المحكمة عائدة إلى القسم مرة أخرى حتى يتسنى لهم أن يرحلوا بعد ذلك إلى سجن بورسعيد، قابلنا فى خروجنا أولاد عمى باكين يعلمون الخبر دوننا ، ذهبنا جميعنا إلى القسم ننادى عليه بصوت دامع نسأل «العسكرى» الذى يقف أمام القسم: نريده أن يخبرنا هل المتهمون الذين جاءوا من قليل أخذوا حكم؟ - مع أننا نعرف ، لكننا لم نقبل أو بالأصح لم نصدق.

قال لنا بكل وضوح قاس: أيوه يا ستى الخمسة اتحكم عليهم بالمؤبد يعنى ١٢٥ سنة!!!

كنت أسمع من يدعو على ذلك القاضى بفنائه وعياله، ومنهم من يقول لم يأت قاض بمثل هذا الحكم العاتى من قبل.

زاد صراخنا ونداؤنا: أمجد .. يا أمجد أنت سامعنا طب رد

علينا والنبى، والنبى ترد علينا، يشدنا الحزن يهوى بنا الضعف على الأرض، لم نر شيئا من الكون غير هذه الـ ٢٥ سنة، والسنة النهائية فى كلية الحقوق، وأبى الذى ألتهمه الحزن ومازال، وأمى المريضة التى يقتلها فراقه فى كل لحظة ويعجز الجميع عن عمل أى شيء لهما، بماذا أواسيهم وأنا أحتاج إلى من يواسينى ، وهم أكثر بكثير ، وعدنا إلى البيت كنت أصعد السلم وأنزله عدة مرات قبل أن أصل إلى النهاية فأخشى أن يقابلنى أبى بهذا الحزن المميت فلا أجد كلاما أخفف به عنه، وأكرر ما أفعل وأبناء عمى من حولى يبكون ويقولون «الصبر الصبر يا إيمان»، وفى النهاية لم يكن لنا بد من أن نصعد أنا وأختى فتفوهت أختى لتقول ياه يا أمجد ٢٥ سنة، فلم تكد تسمعها أمى حتى صاحت وثارت وقالت ٢٥ سنة .. ونزعت ساعة الحائط وألقت بها إلى الأرض، وصعدت إلى الطابق الثالث حيث شقته المنتظر زواجه فيها ولم تكتمل بعد، فكانت تهيل التراب على رأسها، ويزداد صراخها ولطمها وجهها وجملة لا تفارقها (٢٥ سنة يا أمجد .. ٢٥ سنة) ونحاول أن نمسك بها نهدئها ولكن كيف يتأتى لنا ذلك وقوانا تخور ولا نكاد نرى تحت أرجلنا من الدمع، خالتى صعقت وجعلت تتدحرج على الأرض وصوتها يكاد يخترق السمع، وأختى الصغرى كانت فى شهرها السادس قد أغمى عليها، وكادت أن تفقد جنينها، أما أبى فقد سقط بيننا ولم ينطق وظننا أنه فارق الحياة، والبيت فى حالة ذعر شديد وضوضاء وحزن واضطراب ، أخى الأصغر يشق جلبابه شقا، يبكى بكاء ما رأيته يبكيه من قبل، ذهلنا مما رأيناه وكنا نحسبهم قد عرفوا الحكم ولكن عرفنا بعد ذلك أنهم غادروا المحكمة قبل أن يتبينوا الأمر، ظنوا أنه قد حكم عليه

ببضع سنوات، لم يرق إلى أذهانهم هذا التوقع المرير.

وفى الصباح كانت أمى تفتح باب شقتنا وتنادى «يا أمجد تعالى يا أمجد شوف شقتك يابا، فينك يا حبيبى ، ياريتك ياخويا كنت سبتلى ابن افتكرك بيه، ياريتك ياخويا سبتلى ذكرى يا حبيبى عشان أقول ده ابن امجد، هتطلع مش هتلاقى حد ياخويا، هنكون بئينا فى التراب أناوأبوك وتبكى بكاء تهتز له أفئدة القساة.

كان الدمع ينهمر بغزارة والحلق مخنوق يكاد يزهق الروح، وخطيبته فى هذه الليلة كانت تبيت معنا تحاول أن تهدىء من روع أمى وتحتضنها وتخفف عنها، ولا تزال أمى على حالها ، وتسأل «نهى» فين عريسك يا ختى، فين عريسك يانهى، ويتواصل بكاء الجميع كطنين النحل.

تم ترحيلهم بعد ذلك من سجن بورسعيد إلى سجن أبى زعبل، ومطلوب منا قائمة بطلبات عديدة دونها أمجد وأرسل بها إلينا منها على ما اتذكر بطانية ، معلبات، ٢٠ سجائر وحقيبة كبيرة لتسع كل هذا، ومرتبة سفنج عرض ٧٠ سم ووسادة، وأشياء لا أتذكرها وقد تعاونا جميعا من أهل وأقارب لنعد له ما طلب والحمد لله، وفى صباح ترحيلهم كنا ننتظرهم على محطة القطار بالإسماعيلية، نراهم من بعيد لانجرؤ أن ندنوا منهم والعساكر تحيط بالمكان وتشتم وتلعن وتبعد كل من تسول له نفسه للاقتراب وهو من بعيد لا تقتربوا ابعدوا هو خير لكم، يشاركنا فى ذلك أفراد المسجونين الأربعة ، من بينهم هذا السائق الذى له من البنات أربع غير زوجته وأمه التى مازلت اسمع صدى صوتها الضعيف الذى يخرج من جسد أضعف هزيل ينوه عن عمر متقدم، تقول له وهو يدخل القطار يبكى، سلام يا

عيسى.. سلام الوداع يا عيسى، يا ترى هشوفك تانى ، تبكى وتلوح بكلتا يديها، والقطار يغادرنا شيئا فشيئا، ولو كان للقطار قلب لما تحرك من فوره، ويعلو النحيب فتتحول المحطة إلى مكان قد شيعت فيه أرواح مازالت على قيد الحياة.

وبدأت رحلة عذاب جديدة لاستئناف الزيارات إلى أبى زعبل، وفى إحدى الزيارات كانت خطيبة أخى معنا.

فقال لها «حاولى تشوفى مستقبلك أنت بأة وخلاص وسبيكى منى.

قالت بدمع تخنقه المرارة: أنا هستناك مهما حصل

كان عندما يسمع ذلك كان أسعد ما يكون على ظهر هذا الكون، فهى الأمل وهى الملاذ وهى العوض عن كل ما يلاقى ، لكنه يرى أنه من واجبه أن يترك لها الخيار فى دون ضغط أو رجاء.

لم تمر أيام قليلة حتى فعل أبى شيئا كان من الواجب عليه فعله، ذهب إليها وأخلى سبيلها وأعطاها الحق فى أن تبدأ حياتها مع شخص آخر، أما ابنه فله الله و نصيب، ولما كانت نهى تربطنا بها صلة دم حاول أبى بقدر الإمكان أن ينهى الموضوع بشكل عادل ورزين، بعد ذلك حاول والد العروس أن ينهى كل شىء هو الآخر بهدوء، وطلب من ابنته أن تعطيه الشبكة حتي يردها لوالد أمجد، فهم الآن أولى بحقها فى هذا الوقت من أى وقت مضى، وانهمرت «نهى» فى البكاء، تقفل باب حجرتها تنطوى على نفسها، وفى النهاية... استسلمت للأمر برمته فكانت الطامة الكبرى بالنسبة لى ذلك لأنى أكن لها مشاعر ود جميلة، ولأننى كنت أتلقى ما حدث فأخيل وقعه على أمجد، لم يخيل إلى أن بعد عدة سنوات من الخطبة

وهذا الحب الجميل، أن يكون ذلك موقف «نهى» أحاول أن أجد لأبيها عذرا فهو ينظر أمرها بنظرة الأب يبحث عن سعادتها وبداية لها مع شخص آخر وقد اكتفى بانتظار أمجد ثلاث سنوات من قبل وليس عنده استعداد أن يضيع انتظارا لشخص محكوم عليه بالمؤبد، كنت انتظر من نهى موقفا مغايرا لذلك تماما، ولما هدأت بعد ذلك بعدة أيام تحدثنا سويا ففوجئت منها بحديث غريب حيث أخبرتنى إنها كانت على خلاف دائم مع أمجد فى الفترة السابقة، وأن موضوع الخطبة كان عرضة للفسخ لأكثر من مرة فى أى لحظة، وأنها قد تعدت السادسة والعشرين، وأنه قد تقدم إليها قريب آخر من عائلتنا وعلى استعداد لأى طلب يطلب منه، وأنها ترى الفتيات الصغيرات من العائلة يحملن أولادهن على أيديهن ، فتزداد حسرة على حالها ، وسمعتها تقول «الجواز سترة وأنا شايفة إن العريس اللى متقدم مناسب، وخاصة أن أباها مصمم ، ساعتها قلت لك الله يا أخى، لن أذهب لزيارتك هذه المرة فليس عندى ما أقوله، إلا أن أقول لك أن عروسك الحقيقية هى .. براءتك..

وفى أول زيارة لأمجد بعد ذلك الموضوع سأل أمجد عن «نهى» فأخبرته أمى دون رحمة ولا هوادة، وكنت أحس إنها تتكلم هذا الكلام من فرط حزنها على أخى ولها الحق كل الحق فى ذلك، والتهم أخى حزن أمى وامتصه وحاول أن يكون على غير ما يحس ويفهمها أن أهم شىء فى الدنيا الآن هى براءته وأمله الكبير فى النقض، وقد أوصى بأن نأخذ القضية ونذهب بها إلى محام قد أدرج لنا اسمه وقد كان بالفعل.

صدق أخى عندما كان يذكر تلك الحكمة التى تقول(السجن مقبرة

الأحياء واختبار الأصدقاء)

قمنا بعد ذلك بتقديم النقض وقد قبل والحمد لله فكان فاتحة أمل كبيرة علينا إذ إنه يمكن تخفيف الحكم من ٢٥ سنة إلى سنوات قليلة أو ربما يتحقق الحلم الكبير فى البراءة.. البراءة ياه.. يارب يارب كم منا يتمناها وحدها وكفى.

ومرت الأيام وتزوجت نهى، وعرف بالطبع أمجد ، ولكن كل ذلك كان لا يزيده إلا صلابة واقترابا من الله سبحانه وتعالى، وقد تعرف داخل السجن على أشخاص يتسمون بالاحترام ويتحلون بالعلم والمناصب، كان كل منهم يواسى الآخر ومنهم ذلك المستشار الذى تدارس معه ثغرات القضية وكيفية الخروج منها، وقد قام أمجد بدراسة القضية على أكمل وجه، وحرر مذكرة تضم كل حيثياتها.

وفى إحدى الزيارات طلب منا أمجد كتبه فهو يستعد لدخول الامتحان للسنة النهائية بكلية الحقوق ، فوقفه الله سبحانه وتعالى وذاكر، وكان يذهب للامتحان فى الزقازيق حيث كان بصحبه العسكرى الذى تربطه به هذه السلسلة الحديدية، يوضع فى لجنة خاصة، ليؤدى الامتحان بحماس، وقد أيده الله بنصره فنجح وسعدنا به أيما سعادة.

وبعد شهور حددت جلسة النظر فى الحكم مرة أخرى ومازال أبى يدفع كل ما يملكه وما لا يملكه نظير أتعاب المحاماة، مازال يقرع أبواب الأقارب دون أن يطلب منهم شيئاً فكان من منهم نعم الصاحب وقت الشدة والقريب المعاون، ومنهم من كان يتغاضى حتى عن التحدث فى الموضوع، ولكن معلهشى كل ده يهون عشان خاطر الابن الغالى، فكلما رأيت أبى على هذه الحال هزيلا ضعيفا لا يفرح

إذا ما أتى عيد ولا يهنأ، ففى يوم العيد وسماعنا الصلاة والتكبير كانت الدموع هى أصدق وأبلغ تعبير عن معاناة الفراق، وعندما يأتينا الشهر الكريم رمضان كان الطعام أمامنا لا يخلو من صورته فوق كل لقمة وعلى وجه كل رغيف، ودعوة الصائم المستجابة لا تفوتنا، أما هو فله دعوتان لا يردهما الله أبدا أن شاء الله دعوة المظلوم والصائم حتى يفطر، أما إذا أخلد الواحد منا إلى نومه فلا يرتاح ولا يحس براحة إذ لا راحة لنا وهو غائب عنا.

يارب لا تخذل أبى أعد له ولده كما أعدت يوسف إلى أبيه، وموسى إلى أمه، وأرح قلب أمى ولا تحرمهما منه يارب..

وكان اليوم، يوم أول جلسة ، بعد قبول النقض، الكل ينتظر من الصباح الباكر، ونحن فى ساحة المحكمة ننتظر أمرا كان عند الله مفعولا وإذا بنا والحكم قد تأجل إلى جلسة أخرى بعد شهرين، أحسست براحة كبيرة عند سماعى ذلك وكأننى كنت أخشى وقوع حكما يطيح بالأمل المتبقى فى أركانى فحمدت الله، وقلنا كلنا «معلهشى كل تأخيرة وفيها خيرة، م أحنا فى الأول كنا مستعجلين ايه اللى حصل، ربنا يستر، يارب والنبى ما تخذلناش يارب قرب البعيد انت قادر على كل شىء.

كان الناس جميعهم يؤكدون لنا أن أمجد سوف يأخذ حكما لا محالة وقد هيأنا أنفسنا على ذلك ورضينا بأن يحكم عليه بسنوات قليلة خير من مؤبد يطيح بعمره وشبابه، كانت أمى تقول سوف يخرج أخوكم لن يجد منا أحدا هو أحنا هنعيش له العمر ده كله..

وجاء اليوم الموعود وتلقفنا الخوف واكلنا الاضطراب وتخللنا الذهول فى انتظار المحظور، لا أستطيع أن أصف إحساسى

ساعتها، إحساس غريب أو كأنه يشبه إحساس المؤمن عند الموت فيجتمع فى قلبه شيئان لا يجتمعان إلا فى قلب مؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوف والرجاء، أخاف أن أحلم، أتمنى البراءة وهى مأربى ومنيتى، فتأتي الرياح بما لا تشتهى السفن، أخاف أن أقترب من رعب يخايلنى فيثبت الحكم أو يتطور إلى اعدام والعياذ بالله فأهرب من نفسى تلاحقنى ظنونى، فأخر ساجدة القلب بين يدى ربى ودموعى تصاحبنى يملأنى القلق ويساورنى الشك فى القضاة، لكن الرحمة والحكم يظلان وحده لله فقط، قد كتب الحكم فى السماء قبل أن ينطق به القاضى أو ينظر فى أوراق أخى والأربعة المعذبين معه، فيارب بما أنعمت على من طمأنينة أخشى أن أركن إليها، أرجوك ياقادر أن تخرجنا من هذه الساحة مجبورين بإذن الله، لا أملك أن أجلس ولا أملك أن أقف، لا أملك إلا أن أسير فى الطرقات أردد بعض التسابيح، يردد أخوتى معى كل منا على حدة، وكذلك أمى، وقد أصفر وجهه، تخفض رأسها بين يديها وتلوذ بصمت مضطرب ، جميع الأقارب من حولنا يحاولون طمأنتها وتبشيرنا بالبراءة إن شاء الله.

توالت الساعات ونحن بالخارج بحديقة المحكمة والرجال بالداخل، ثم خروجهم الواحد تلو الآخر بعد ما رفعت الجلسة، والحكم بعد المداولة.

لسه تاني، هنتظر تاني، زى بعضه الانتظار برده فيه أمل وربما... آه ياربى أجرى كلمة الرحمة والأمان على ألسنة القضاة يارب، امنحنا على أيديهم البراءة يا كريم وأعدنا منصورين، أرى الجميع يقومون لأداء صلاة الظهر، بينما يخبرنى زوج أختى وهو

مبتسم متفائل: عندما كان يترافع المحامى عن أمجد، كان المؤذن يعلنها الله أكبر فقال له المحامى وهو قابع فى قفصه الله أكبر يا ولدى إن شاء الله طالع بإذن الله، ثم استرسل فى عرض القضية واستطاع المحامى أن يثبت بالأوراق والمستندات وبالدليل القاطع كيدية الاتهام وتلفيقه لهذا الشاب الذى حاول الزج به فى هذا الاتهام.

فقد هلهل القضية، وجعل منها مسرحية سخيفة قام بها رجال الشرطة فقد ذكر الضابط فى التحقيقات أنه أخذ أمجد من شارع الجمهورية وفى الطريق العام وفى عز الظهر وهو يسلم عصام البضاعة، فهل يعقل أن بضاعة كبضاعة الهيروين تسلم فى نهر الشارع، وإذا كان حدث ذلك لماذا أخذ المتهمين على فندق النزهة ثم يطلب من عصام وأمجد تسليم البضاعة للصعايدة فيسلمها لهم فيرفض الصعايدة اللى قالوا فى التحقيق أنهم أتوا لشراء أرض ، وليس لهم علاقة بهذا الموضوع وأكدوا بالمستندات والعقود ماقالوه ، لذلك لم يمسهم شيء وأفرج عنهم بعد أول جلسة، وتبقى من التسعة متهمين هؤلاء الخمسة إلى وقتنا هذا، وقد فات على القضية أكثر من أربع سنوات يحتجز فيها هذا الطالب وهو بالسنة النهائية بكلية الحقوق، يضيع مستقبله بسبب تمثيلية سخيفة غير منطقية - غير مفهومة بالمرة ، وأشاد الجميع بمرافعة المحامى ، وسمعت هذا الحديث من محام آخر كان بداخل القاعة، واستمع إلى المرافعة وهو أيضا زميل دراسة لأخى، حيث حدثنى عن:

- بطلان القبض والتفتيش لانعدام التحريات

٢- بطلان القبض والتفتيش لعدم توافر حالة التلبس

٣ـ بطلان القبض والتفتيش لأن الجريمة تحريضية

إن مـأمور الضـبط فى هذه الواقـعـة هو الذى قـام بخلق الجـريمة والتحريض عليها عندما قام بأخذ الأشياء المضبوطة مع المتهم الأول والتوجـه إلى مـسكن المتـهم الرابع «أمـجـد» وطلب من المتـهم الأول بالنداء عليه لكى ينزل من مسكنه لإلقاء القبض عليه وهذا ما شـهد به الدكتور / عبد العزيز الخولى الأستاذ المساعد بكلية الزراعة بجامعة قناة السويس بالتحقيقات، أن القبض على المتهم الرابع كان من أمام منزله وليس كما ذكر ضـابط الواقعة أنه قبض عليه من الطريق العام بعد ما أجرى اتصـال تليفونى من مكتبه بالمتهم الرابع «أمجد» على لسـان المتهم الأول لكى يقابله وقد ذكر المتهم الأول «عصـام» أيضـا بالتحقيقات أن القبض على المتهم الرابع كان من أمـام منزله وأنه لا يحق لضابط الواقعة القيام بكل هذه الأشياء دون الرجوع إلى النيابة العامة لكى ترى أن كانت تسمح أو لا تسمح.

٤ـ عدم معقولية تصوير الواقعة على النحو المبين بالأوراق.

٥ـ تصرف المتهم الأول تصرف المالك فيما يملكه بعدم الدليل على اتهام الضابط للمتهم الرابع.

كل مـا سـمـعـتـه كـان يدعـمنى بالأمل، لكنه لم يرق إلى طمـأنينة مستقرة كاملة، ربما طمـأننى إلى حد أتوقع معه استمرار الحبس سنوات قليلة، أو أن يحكم عليـه بأربع سنوات وقـد وفـاهم وأتمـهم أوتضاف ثلاثة سنوات فيكون الحكم مثلا سبع سنين «وبباة هانت».

لكنى دائمـا أتذكر كـلام أمـجـد أنه طالـع طالع، وأتذكر تـأكيـده ودرايتـه الدراية الكاملة بالقضـية التى تخلو من أى شىء يدينه على الإطلاق، ويتحقق الأمل فى لم الشمل، كان دائمـا يردد إن شاء الله

رمضان جاى قريب وهقضيه فى وسطيكم، ياماما بيتنا وحشنا قوى، وبالذات الحمام فكنا نضحك ونقول له ربنا يحقق أملنا كلنا، ياه... ده احنا عشمنا فى وجه الله كبير قوى، وفجأة وجدت أقاربى وأبى وأخى يهرعون إلى داخل قاعة المحكمة لسماع الحكم، هلكت أعصابى منى ورحت أتمتم بكلمات لا يعلمها إلا الله وأنوء بجانبى عن الناس تدور سلسلة المفاتيح حول إصبعى ولا تتوقف وصراع ما بين الموت والحياة بداخلى، أقول «يا أالله كلمة تجرى على لسان القاضى بإذنك تشفينا أو تسعدنا فأسعدنا يا الله وأجر كلمة الرحمة على لسانه»، وكلما نازعنى الشيطان وأوجس لى بأن الحكم ممكن أن يؤكد فماذا عساه أن يفعل أخى؟، وماذا عساهما أن يفعلا هذان الأبوان الكريمان؟

وهل من أمل غير هذا الأمل الأخير، يا أيها اللعين ابتعد عنى والله لوددت أن أرجمك كما رجمك الخليل عليه السلام حين وسوست إليه وساوسك ، ياربى ياربى.

بعد دقائق من دخول الناس القاعة، خرج عساكر الأمن علينا ليردونا من حديقة المحكمة ويسبوا ويلعنوا فخرجنا جميعنا ولكننا لم نغادر سور المحكمة، هذا السور العالى، كلنا يقبض عليه ممسكا به، واقفين خلفه كأنما نقف بباب الرجاء، متمنين أن يزيل الله ما بيننا من أسوار، وإذا بى أسمع بعض الناس من الذين تنتظر قضاياهم وينتظرون مثلنا، يقولون طالما خرجونا كده يا جماعة تبأه الأحكام صعبة، وهما خايفين م الناس ، ظللت أبكى ثم نظرت حولى وجدت أمى تفترش الأرض كعادتها، ولمحت أبى الذى ظننته أنه بالداخل ولكنه لم يستطع الانتظار داخل القاعة خوفا من الحكم، وكان

الانتظار شيئا رهيبا مؤلما موجعا، كل دقيقة كانت تمر كانت تحيى آمالا وتهدم أخرى ، ولم تمر علينا ثانية أو دقيقة إلا ونظرنا فى الساعة وأعيننا معلقة بباب المحكمة انتظار أى شخص يخبرنا بما قد آلت إليه أحكام القضية، دام انتظارنا حوالى نصف الساعة أو قرابة الساعة إلا الربع، متوجسين ، خائفين ، راجين ، ذاكرين الله كثيرا، راضين بحكمه آملين فى البراءة أو العدول عن الحكم بحكم أخف، وإذا بى أسمع صوتا يخرج من بين الطرقات يقول شيئاً غير مفهوما، أظنه صوتا لرجل كأنما ينادى أحد أو أنه يتشاجر مع أحد بالداخل، فإذا به زوج أختى يخرج مسرعا ويكاد ينكفىء على وجهه يقول بصوت عال متلاحق براءة.

ويتلوه أخى مؤكدا إياها، علت الأصوات وظللنا نصرخ ، نتكلم كلاما غير مفهوم ، نبكى نسجد على الأرض ثم نقوم، يحتضن بعضنا بعضا، وكأنما المطر يهطل من أعيننا فى يوم غمام عامر بالسحاب ، حتى أن خالى ظن أننا لم نسمع أنها البراءة، وخشى علينا أن نكون قد سمعنا شيئا غيرها، الجميع كانوا يهنئون بعضهم بعضا، حتى أننى احتضنت ناسا لم أعرفهم ظنا منى أنهم أقاربى وكذلك بنت عمى أذكر لها كلمة قالتها بلغتها البسيطة الريفية وهى تضحك وتضع يدها على فيها وتقول بهمس «يالوهى ده أنى حضنت ناس معرفهمس » والنبى لو جوزى درى ليطلجنى فضحكنا سويا وحمدنا الله كثيرا، يارب الحمد لله براءة اللهم لك الحمد والشكر ياالله أنت المتفضل أولا وأنت المتفضل آخرا، الحمد لله إنك على كل شىء قدير ليست البراءة اليوم تخص أخى وحده بل هى تشملهم جميعا الخمسة لست أدرى كيف ولكن لقد حدث وقد جعل الله لنا

ولهم مخرجا من حيث لا نعلم، ياه كم كان الفرح جميلا شاملا وكم كانت فرحة زوجة السائق وبناتها الأربع وأمه التى كانت تظن أنها ستلقى ربها قبل عودته إليه، وقد من الله عليها به، وكذلك فرحة عروس عبد الرؤوف هذه التى انتظرت سنين عجافا يضطهدها أهلها، تقاوم اليأس بالأمل بعون الله، أوفت فوفاها الله أحسن الجزاء، كنت أحس بها طائرة فوق الجميع دامعة العينين فرحة، لا تصدق ما تسمع ، وكأنى بها أراها تزف إلى حبيبها العائد من جوف العدم، وهنا تذكرت «نهى» التى كنت أيقن تمام اليقين أنها ما نسيت أمجد طوال هذه المدة وأعلم جيدا أنها كانت تدعو له وعندما ألقاها كانت تبكى كثيرا عند ذكره وهى تسأل عنه، لست أدرى أبكاء ندم هذا أم ماذا؟ لست أدرى ، هل لو كانت صبرت قليلا لكان اكتمل فرحها، لا يسعنى أن أقول فى هذا سوى كلمة واحدة«نصيب» والتفت حولى أبحث عن زوجة عصام فلما سألت عنها قالت لى أختى لقد طلبت الطلاق وانتهى الأمر، حزنت حزنا مريرا، لاتحزنى يانفس فاليوم يوم الأوفياء قد وفاهم الله جزاء ما صبروا ، أما ما دون ذلك فلا يهم، أما فوزى فالجميع كان فى استقباله فرحين بما أتهم الله من فضله، شتان ما بين اليومين، يوم راح فيه البصر واليوم يرد بإذن الله، لا حول ولا قوة لنا إلا بك يا الله، ساعتها نظرت إلى أبى وضممته وهنأته، كان يبكى ويبتسم ويقول الحمد لله الحمد لله، وبينما نحن كذلك إذا بى اسمع صرخة عالية لامرأة رأيتها تتململ فى التراب وتبكى، وأخوها يحاول أن يثرى عنها ويرفعها عن الأرض، وعرفت بعد ذلك أن زوجها قد حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات ، تذكرت ما حدث لنا فى بادىء الأمر منذ سنوات، وكيف

كنا، وكيف كان حالنا... من يدرى ربما كان مظلوماً جديدا أضيف إلى قائمة المرحلين عبر طرقات الألم.

ترى من ذا يرد الحق، لأخى، لأبى، ولأمى، ومن ذا الذى سيدفع أجر ما تعذبنا طيلة أربع سنوات، وإهانة مازالت تلاحقنا وبراءة ربما يشك فيها الآخرون ، كذلك العيش الكريم لمن تسلطن أما من هم دون ذلك فليذهبوا إلى الجحيم ، ولا ضير إذا ما ظلموا طالما كانوا من الرعاة، الذين ليس لهم الحق في أن يملكوا عصاة يهشوا بها على أغنامهم.

كيف لنا أن نحرر الأوطان ومازال بعضنا يستعبد بعضه بعضا؟؟؟

واستقلينا سيارة وعدنا إلى البيت تزغرد ، نغنى طوال الطريق، عاد معنا الأقارب وكانت ليلة جميلة بهذه المفاجأة الإلهية، البراءة للخمسة اللهم لك الحمد، فرج كرب المكروبين يا الله فلا زلت أتذكر تلك المرأة المسكينة التى افترشت حزنها، فتململت عليه كبدا، اللهم رد كل غائب إلى بيته، دعوة لاسيما ذكرناها وراء كل إمام، فى بيوتنا ، فى قلوبنا، كنا نجهش بالبكاء حتى نختنق به، وكنا من قبل لاننتبه إليها ولا نحسها بنفس ما كنا نحسه وقت المحنة، الحمد لله.

مرت بعد ذلك أيام قليلة راح بعض أقاربى يستقبلون أخى أمجد ليعود معهم، باتوا ليلة فى قسم أحد الضواحى ونحن على مضض ننتظرهم نحن وجميع أقاربنا تقريبا، ظللنا ليلة لطولها ننتظرهم أمام البيت فى الشارع كأنها ليلة عرس ، عادوا من القسم لكنه لم يأت معهم، قالوا «دى إجراءات وهنروح نجيبه الصبح»!، فصبرنا على مضض والفرح فينا ينتظر اكتماله.

ومــر يـوم جـديد ويوم ثالث ونحن نتـصــبـر وننتظر، فى كل يوم يقولون ذهبوا بـه إلى القسم الفلانى فى الضـواحى والقسم العلانى فى ضـاحيـة أخـرى، وإجراءات تنوء بها الجـبـال، العـالم يتـقـدم من حولنا ومـازالت الرتـابة والتبـاطؤ فى كل شىء يلازمنا، لماذا لا تكون الإجـراءات أسـرع من ذلك بكثـيـر ، خـاصـة بعـد دخـولنا إلى عـصـر الكمـبيـوتر والفاكسـات والانتـرنت وسـرعـة الاتصـالات، لماذا نـهلهل الناس قبل أن نفرج عنهم، أما يكفيهم ما لاقوه وراء الأسوار ، ولكن، لماذا لا يكون ختامه مسك!!

سـاعـتـها تذكـرت كلمـة قد بعث بـها أخى فى خطاب عندما كـان يراسلنى من هنـاك، كتب لى أنـه عند استـقبـال مسـجونين جـدد يكون فى اسـتـقبـالهم وفد عظيم، يقـومـون على إكرام وفادتهم فيكرمـونهم أيما إكرام، ولا أنسى أن أخبرك يا أختى العزيزة، بأنواع هذا الكرم الذى لا يخلو مـن سطل شـتـائم، وعـدة شـلاليت مكن، وعـدة صـفـعـات على الخد الأيسر يساويها فى المقدار صفعات على الخد الأيمن حتى يكتـمل العـدل، فكيف يتـسنى لهم دخـول هذا المحـراب العظيم دون تطهر ، ليس كافيا ما أصدر ضدهم من أحكام سواء كانوا مظلومين أو ظلمـة، وليس لهـم دخل بما يدور بـرأس كل مـسـجـون فـيـهـم من تفكيـره فى زوجـتـه أو أولاده، كيف حـالهم الآن، مـاذا سيـأكلون؟، وكيف يتسنى لهم أن يكملوا دراستهم، وكيف يعيشون ومـاذا ستفعل الدنيا بهم فى هذه المحنة، كل هذا خـارج حـيز التفكير تمامـا، المهم كل شىء يمشى على مـا يرام داخل هذه الحظيرة، نـعم إنهـا حظيـرة ومـا فـيـهـا خنازير أقـصـد مـسـاجين ، ومـا عـدا ذلك فـهم أصـحـاب السيادة والفخامـة والرتب حتى أصـغر رتبة فلابد أن يعمل لها ألف

حساب، إذ لابد من الحزم والشدة والربط حتى «يكسروا سمهم» وأكثر من ذلك يا أختى بكثير، حتى أننى أخجل من أشياء وأتناسى أشياء حتى لا أذكرها فأجهدك معى وأثير قلقك على، إن الله مع الصابرين. أما من يعفى عنه بعد ذلك هذا إذا حدث ذلك، يؤتى بحاجياته جميعها وأوراقه إذا كان يكتب أو مذكراته أو أى شيء يتعلق به وملابسه فتحرق أمامه قبل أن يخرج، أى شيء أكثر قسوة من ذلك، وانتبهت ساعتها أن الذى أقرأه عن هؤلاء لابد وأنه سوف يحدث لأخى أمجد وهو الكاتب الشاعر الرقيق، يدون كل ما يحس ويعانيه من ألم ومحن، لم يفته يوما أن يرثى إليه الذى مات منذ عدة سنوات فنظم له قصيدة رثاء، فما باله بما يلاقى ويعانى، هذا القارىء الجيد طيلة عمره المثقف الواعى، لقد كان يطلب منا فى الزيارة أن نأتى له بمجلات كثيرة وجرائد وأقلام وورق، ولن أنسى أبدا أن طلب منا أن نشترى له حاجات واستخدم فى ذلك بعد ما رآنا من شباك السجن ببورسعيد بعد ما علت أصواتنا بالنداء عليه من وراء هذا السلك الشائك، وكان مازال يلبس الثوب الأبيض وذلك قبل أن يصدر ضده حكم ، كان يكتب ما يريد ثم يرسله لنا بنبلة فنستطيع من خلال ذلك أن نتعرف على ما يريد بعد قراءة الورقة، أحسست ساعتها أنه لابد وأن يحدث له ذلك يوما وكيف أن ما كتبه من ألم ودونه من دمع سوف يكون غاليا عليه وقاسيا أن يراه يحرق أمامه وقد كان، وقد قلت ساعتها المهم أنه يخرج.

ومع بكور صباح رابع كان لابد لنا من الانتظار، هذه اللعبة اللعينة التى لا تود أن تفارقنا، ملأ البيت بالناس والزوار الوافدين من بلدنا وإذا بهم يأتون إلينا ويهدونا من خيرات الله حتى الذبائح

كانت هدية وكذلك الطباخ الذى أرسلوه فقد بات الليلة البارحة يحضر ويعد ما لذ وطاب ويمر الوقت، وكلما سمعنا كلكسات العربات هرعنا إلى النوافذ والشرفات نحسبهم قد جاءوا به ثم يخيب ظننا، فنعود وننتظر مرة أخرى بضجر وقلق، فيقول لنا أبى بابتسامة حكيمة المهم إنه طالع يا بنات، النهارده ، بكرة، مش مهم دلوقتى يجى بالسلامة، وتأتى الساعة الثالثة .. الساعة الموعودة... نفس الموعد الذى خرج فيه أمجد ولم يعد ، نسمع فى هذا الوقت كلكسات السيارات مهللة مقبلة نحو منزلنا يظهر فيها أمجد واقفا فاتحا باب السيارة فرحا، وإذا بنا نلتف حوله كل منا يمس قطعة من قميصه يقبلها ، كان مثله كمثل قطعة السكر التى يتكالب عليها النمل ليربح منها أو يكاد يحملها، كان يعانق كل الناس يبتسم فى وجه الجميع وجهه الشاحب بعض الشىء يربو إلى الملائكية السمحة، تعلوه ابتسامة صفاء وحمد لله عز وجل، احتضنته، هو فى ذهول أيضا لا يشعر ولا يصدق أنه بيننا، اليوم فارقنا دمع الحزن ليحل محله دمع الفرح الذى تأخر عنا كثيرا فحمدا لله..

ونظرت لأبى وأمى فرأيت بكاء الحنين والحمد لله يملأ أعينهما ، أنظر إلى أبى الحبيب ما رأيت قبل اليوم ابتسامة فرحة عارمة تملأ عينيه مثلما رأيتها اليوم، أبى قد كان ينادى عليه فى أحلامه يصحو من نومه وهو يقول أمجد تعالى أنا هنا، والغريب أن أمجد كان يصحو من نومه على صوته وهويلبى أبى هناك فى سجنه «أيوة يابابا أناجاى أهو» فيخبره زميل غرفته وهو رجل ذو مكانة وخلق، سوف تعود ياولدى إلى بيتك وأبيك إن شاء الله، أبى ذلك القلب الكبير، والجسم المتهالك، دائما ما كان يخبرنا أنه إذا خرج أخونا

فسوف يشفى مما فيه كله، وتلك العينين يا ابتى هل ترى بهما اليوم أحسن من ذى قبل، أرى أن النور الذى يملأ نفسك أعلى بكثير من النور الذى انطفأ فى عينيك، أعرف أن ذلك يكفيك، فمن المحق يا أبى، من هذا الذى تسبب فى ظلمتك أو بعضها ، هل هو القانون أم القائمين عليه، يقال إنه ميزان العدل فى الأرض، فإذا اخلت موازين الأرض فلمن نلجأ إذن؟

الحمد لله أن لنا ربا رؤوفا رحيما يعاملنا بفضله لا بعدله.

أمي وحبات القمح

ذات يوم صحبتني أمي إلى السوق وكانت الحال ليست على ما يرام، وقد علمت من حوار دار بينها وبين أبي أنها سوف تشترى من السوق اليوم كيلة غلة فقط (قمح) حيث إن البيت يخلو من الخبز تماما وعليها بعد ذلك طحنه وبالتالي خبزه... قمح فقط لا شيء غيره فالميزانية لا تسمح بأكثر من ذلك.

لم نكن نملك ركوبة غير التي وهبنا الله إياها، لم اسأل أبدا لماذا لا نمتلك ركوبة إلا أن إمساكي بيد أمي وانبعاث الحنان من راحة يدها، كان يدعمني بطاقة سحرية لا أحس معها بالتعب ، وأخيرا وصلنا إلى غايتنا، كان للسوق سور يحيطه مبنى من الطوب اللبن له باب صغير وآخر كبير، والأقرب لنا كان الباب الصغير، تعلوه حديدة تتوسط ما بين طرفي السور، فكانت أمي تخفض رأسها قليلا لتعبر إلى الداخل، وأنت إذا ما دخلت إلى السوق وجدت فيه ما تشتهي من كل شيء، فهذا تاجر الأقمشة المختلفة الألوان والأنوا ع، وهذا صائغ، وآخر جزار، وذاك حلاق السوق، وهاهو صاحب البوظة وأمامه تلك البراميل الملأى بها، لم يفت أمي أن تلمح في عيني رغبتي في كوب منها، فواتتني بواحدة ونسيت نفسها، حاولت أن أتقاسمها معها فرفضت بشدة، وحشتني أن أشرب بسرعة لتعود بي بسرعة (قبل الحر).

تمسك أمي وتقبض على منديل النقود في يدها وكأنها كانت

تخشى أن تفقده أو يسرق منها!

تتجنب أمي النظر إلى أى سلعة ما دون الخبز أقصد القمح التى أتت من أجله ، فما دام الخبز فى البيت فالبيت مستور، نستطيع أن نأكله مع قطعة من الجبن، أو أن (نفته) إذا تعذر الأمر تعذرا شديدا فى شوية شاى (والجعان ما بيدقش) اشترت أمى كيلة القمح واطمأن قلبها وعادت فرحة تحمله فوق رأسها ، داخل هذا السبت الكبير الذى تغطيه بقطعة قماش بيضاء، لم يبق لنا إلا الخروج من باب السوق، انثنت أمى بما فوق رأسها وتأهبت للخروج وإذا بالحديدة التى تعلو باب السوق تطيح (بالسبت) فتقع (دارت) القمح على الأرض، تنكفىء أمى لتلملم حباته تبكى، ينهمر الدمع من عينيها غزيرا غزيرا، تحمر عيناها ووجنتاها احمرارا شديدا فى بضع ثوان، تنفخ التراب عن حبات القمح كلما لملمتها وتبكى فى صمت رهيب، تبعثر القمح خارج الباب وداخله فكنت أساعدها بيدين صغيرتين ضعيفة، وعينين تذرفان الدمع من أجلها لا من أجل القمح، هذا هو قوتها وقوت زوجها وأولادها، فما هذا الحظ العاثر الذى أردى بقوتنا على الأرض، يساعدها بعض الناس، تقوم فتحاول رفع ما تبقى مرة أخرى وحبات القمح المذوية تحت التراب تنظر إليها بحسرة وقلة حيلة، نسير سويا، جلبابها الشديد السواد تغير لونه فكان شاحبا بتراب قاتل جنى عليها وعلى فرحتها ، لم تكترث كثيرا بذلك وشرعت فى طريقها إلى المنزل ، سارت وحدها وسرت وحدى!

فقدت أمى من القوت الضرورى فشغلها ذلك عنى، نسيت عند عودتنا أن تمسك بيدى، ومع طول الطريق كنت أنا الأخرى افتقد شيئا آخر أهم.

ذاكرة الصندوق

كان البيت يضخ بأحزان الخالات والعمات والأعمام والأحفاد، جدتى يناوشها الفراق فتحكى معه قصة الرحيل وكيف ومتى يشرعان فى كتابتها، والدمع صافات على باب حجرتها... جدتى تلك التى يجتمع من أجلها الأحباب ويأتى إليها كل من تناءت به المسافات، يجتمعون فى بيت أبى على حبها، تملأ أقدامهم كل أركان بيتنا الصغير، وما ظننت يوما أن بيتا كبيتنا هذا له القدرة على احتواء هذا الكم من الأنفس ، مثله فى ذلك مثل الرحم فى اتساعه للجنين كلما نما ازداد حجمه..

جدتى ما بالك تراودين اليقين عن نفسه أم أنك تحاولين أن تلعبى معنا لعبة (الغلاوة) ، أنت غالية والله يا جدتى وإن كان لم يتفوه بها لك حفيد من أحفادك أو ربما ابن من أبنائك، إن صدر منى شىء دون قصد أزعجك فلا تغضبى منى، وإن كان صدرى لا يتسع لحكايتك القديمة المكررة مرات ومرات فها أنا كلى آذان صاغية، لا تغضبى منى فلن أسخر من صندوقك القديم الذى طالما سخرت منه وكنت أحرضك على بيعه أو إلقائه من نافذة الصندوق ده يعنى أنا، كل ذكرياتى، كل حاجتى الغالية اللى بخاف عليها محطوطة فيه، لما يجرالى حاجة إبقى ارميه ، كنت أقابل عباراتك باستخفاف مستفز، سامحينى..

جدتى .. قلقى عليك يقتلنى، سوف أغلق النوافذ حتى لا يتسرب

إليك الأذى فيمرض صدرك، وأشعل مدفأة فى غرفتك التى أرى أنها أكثر حرارة بأنفاسنا القلقة عليك، وأذهب لآتيك بقدح من اللبن البارد الذى تحبين ولا أعصى لكى أمرا، وسأجلس بالقرب من سريرك سأجلس تحت قدميك حتى لاتتعرضى للوقوع مرة أخرى من فوقه، جدتى بالله عليك لا ترحلى، دعينى تحت قدميك واتركى لى يدك أقبل فيها السماحة والوداعة والحنان، صرت طفلة حكيمة، تنامين نوم العارفين ، وتصمتين صمت القانعين بالتأمل، عيناك الزائغتان ترهقنى وتجهدنى، ويجهدنى نحيب أبى الذى انكفأ على وجهه خارج الحجرة، خشية أن يسمعه أحد أويراه حفيد، هذا الحشد الهائل منا يرجو الله أن يشفيك ، كل منا اتخذ موضعه مصلى يبتهل إلى الله سبحانه وتعالى بقلب صاف متذلل أن يبرىء سقمك ، سأصلى فى جوف الليل كل ليلة إحدى عشرة ركعة نذرا لله إذا ما شفاك وأرجو أن يشفيك ، جدتى هذا سريرك الذى كنت أناوشك من فوقه فأغمض عينى حتى تظنين أنى نائم، فيعز عليك أن توقظينى وتأتى بالغطاء الكثيف لأجلى وتقرئى لى الفاتحة والمعوذتين حتى يحفظنى الله ويحمينى ثم تضعى قبلة فوق جبينى فأنام مطمئنا، وأنت التى لاتغفل لك عين إلا على سريرك تروحين وتجيئين فى الغرفة فأستيقظ وأنا أضحك منك بينى وبين نفسى، أرجو أن تسامحينى (وخليها فى سرك زى ما دايما بتقولى... شقاوة عيال).

لا أستطيع أن أتخيل هذا السرير بدونك، وهذه المسبحة تتلألأ بين أصابع غير أصابعك، كم كنت أخفيها عنك، وأراك وأنت دؤوبة فى البحث عنها وأنا أتلذذ بهذا انتقاما منك لأجل شكواك منى لأبى، أعدك من الآن فصاعدا لن أقلقك ، لن أزعجك، سوف أفعل كل ما

يرضيك ويجعلك تثنين على، أرجوك بالله عليك يا جدة نحتاج إليك صغيرنا وكبيرنا لا تتركينا، هذا البيت المكتظ بالأنفاس إذا ما خلا منك فسوف يخلو من أحبائك إذا ما أصابك مكروه لا قدر الله، هذا الرنين التليفونى يئن بالسؤال عليك كل خمس دقائق، أرجوك أما آن لك أن تشفقى علينا مما نحن فيه من مختلف الأماكن جاءتك الأحبة فلا ترديهم مخذولين..

لا تضطربى هكذا .. لا تشردى.. لا تذهبى بعيدا، نحن فى حاجة إليك، جدتى.. هل راودك النوم، هل استغرقتى فيه فأتركك ولا أزعجك

لماذا أبى يصر على إخراجى من غرفتك؟ لماذا الآن؟... لماذا انصرف الجميع ولم يبق إلا أبى وحيدا،، الصمت يدوى فى البيت كأنما الريح فى دواماتها باتت فى كوخ عتيق وما أشعر إلا وأنا أسرع إلى أبى القابع فوق الصندوق انكمش فى أحضانه ودمعاته الحارة تصافح خدى.. لاحظت شيئا كان وافيا بالإجابة.. جرس التليفون لم أسمعه منذ نصف ساعة..!!

ضد الكسر

عندما نهره الضابط بشدة قائلا : ما الذى أخرجك من بيتك اليوم؟ .

نظر محمد إلى والدته الواقفة بجواره يتقد وجهها حدة وذكاء وكبرياء لتشاركه نظرة استخفاف بسؤال السائل تتفق مع سخرية «محمد» التى بدت على وجهه واضحة لاشك فيها، ليتلقفها الضابط بصفعة على وجهه أردته إلى ركن من أركان حجرة التحقيق، تمسك الأم بعنق الضابط ، تلتف كلتا يديها حول عنقه بكل ما أوتيت من قوة فكادت تخنقه لولا أن الضابط استجمع قواه فزج بها إلى الأرض، يأوى محمد إليها ينفض عن ثوبها تراب تلك الحجرة الكئيبة، يضع رأسها فوق صدره ، يبكى شفقة بها، تهب واقفة تنهره ألا يبكى وأن المرء يبتلى على قدر إيمانه، وإنما لكل شىء برهان وبرهان إيماننا الصبر والتحمل ، يستند الضابط بإحدى يديه على المكتب والأخرى ترفع إلى فيه سيجارة معبقة أنفاسها باحتقار شديد لهذين الكائنين المحتكرين ركن الحجرة فيبعث أنفاسه المرة تلو المرة بتفحص شديد ونية انتقام وتفكير فى عقاب لهذه الحشرات التى غادرت منزلها فجر اليوم ذاهبة إلى حقلها ، تحضر بعض ما يقيت البدن ويرجىء الجوع لحظة، نظر محمد إلى الضابط ليؤكد له أنه ما خرج إلا ليمارسرحقه وإنه لم يعتد على أحد، لم يسلب أحدا حقه، لم يضع يده فى جيب المارة يسرق منهم ما لا يملكون!، فلقد خرج إلى

أرضه، أرض أبيه وجده ينتقى الرزق منها دون مذلة لأحد أو سؤال بإلحاف، وإذ بجندك يقتادوننى أنا وأمى إلى هنا ، لتعاملنا معاملة النخاسة فى أسواق العبيد، ترغب فى ذلى لأننى فكرت يوما أن استنشق هواء على أرض قد منحها الله لى، أرض لم أرثها عن أجدادك، تتمنى أن أقبع فى دارى حتى تأتينى النهاية فى شكل الجوع المتسلل من ثقب الأبواب الواقفة على حافة بركان، فى شكل البرد القابع معنا خلف الجدران المهدمة، فى شكل العجز اليائس منا، فاعلم أنى لا أيأس أبدا فإذا ما خرجت منى روحى الآن فلسوف تنثر أشباحا تتعثر فيها كلما راودتك نفسك أن تستمتع بالأشلاء التى خلفتموها فى الطرقات لترهبوا بها من تسول له نفسه أن يستنشق مرة عبق الحرية على أرضه، أنا لا أخافك وأقسم أنك ترتعد خوفا منى ومن أخوتى ولسوف تأخذك العزة بالإثم لكبح جماح التمرد فينا دون جدوى، أفهمت دون جدوى..

فى هذه الأثناء كان الضابط يسمعه وهو يدير له ظهره مستقبلا بوجهه حائط الحجرة، تدور عيناه بشكل ينم عن الرعب، تحمر وجنتاه وعيناه ، وبين أصبعيه سيجارة تقبض فتنطفىء السيجارة وتبسط فتلقى على الأرض ، يتملكه الغيظ والرغبة فى الانتقام والتحدى والإذلال لهؤلاء الذن لايملكون حولا ولا قوة، نسى أن الإيمان نفسه قوة لا تقهر ، فهم يستندون إليه فى كل حال.. استدار لهم فجأة وهو يقهقه بسخرية قائلا: تستنشق عبق ماذا؟ الحرية!، يالك من فتى جاحد، ألم أمنحك حرية التنفس داخل هذه الحجرة؟!

الفتى فى استخفاف: الحمدلله أن مازال الهواء حرا طليقا ليس ملكا لأحد وليس لك فضل فى ذلك ولو كان بإمكانك اغتصابه

وتجريفه لما توانيت لحظة..

يحملق الضابط في وجه وعيني «محمد» ويشير بالسبابة في هدوء ويقول: إذا كان الهواء طليقا فأنت في قبضة يدى وسأفعل بك ما لم أستطع فعله بالهواء، ولسوف أترفق بك وأعرض عليك اختيارين حتى لا تتهمني بالعنصرية والتطرف والنازية وإلى آخر هذه القائمة من الأوصاف، عليك أن تختار والآن وبدون تردد أو تلكؤ، إما أن أقطع أنفك أو أن أقطع أنف أمك..(ويثبت أصبعيه صوب عيني «محمد» ويتفحص وجهه كي يتلذذ برد فعله الذي يتوقع أنه سوف يرضيه ويرضى همجيته وتطرفه) أطاح «محمد» بإصبعي الرجل في حدة وقال له: بل اقتلني ولا تمس أمي، أخرجها من هذه الحجرة وقطع في جسدي، كما يحلو لك فأنتم بارعون في تقطيع الأجساد وكأنما توارثتم الجزارة كابرا عن كابر، هذا جسدي افعل به ماتشاء ليست الأنف فقط ولكن كل الأجزاء أما أمي... (ينظر إليها بعينين لا تجرؤان على الدمع تحتضنه طويلا، ترفع عينيها إلى السماء من نافذة تعلو الحجرة يتخللها أعمدة حديدية تتمتم يارب...

تصعد حارة دامعة القلب حائرة، خاوية اليدين من أي قوة إلا من قلب يسكنه العناء ويدعمه الإيمان.. تقول للرجل: إذا كان ولابد أن يقتل أحدنا فأنا لها، آجلا أم عاجلا سوف أموت كما أنك سوف تؤول إلى نفس المصير اليوم... الغد ربما بعد دقائق، ربما بعد ساعات، وأنا أبشرك يا سيد قومك فإذا ما استفحل الظلم وعم قرب هلاكه والخلاص منه، واعلم أن لي أبناء كثيرة وأولاد عمومة يهوون الموت كما تهوى أنت الحياة، ويؤثرون الآخرة على الأولى... أتتفاوض معنا على كسر أنوفنا وقد هانت علينا أرواحنا بل الحياة بأثرها ، لا والله

لا نرضى إلا الموت بديلا ، وقسم أجزاءنا كما ترىٰ وكما يحلو للنفس الدنيئة، فما يضير الشاة سلخها بعد ذبحها، ولو كنت مؤمنا حقا لقلت لك (أعوذ بالرحمن منك أن كنت تقيا)، فما بالى وقلبك غلف فتلك نقمة من الله ما بعدها نقمة لا تعرف مداها إلا عند الحساب، (فى بادىء الأمر كانت تتحدث وتردد الكلمات ولم يعرها أى اهتمام، لم تمض ثوان حتى تسلل الغليان إلى صدره يزداد مع حماستها فى كل كلمة تنطقها ، فراغت عيناه بعض الشىء فراح يخط بقلمه على ورقة فارغة دوائر وخطوط عشوائية موحيا للآخرين عدم الاكتراث بهم محاولا فى تفريغ شحنة الحقد على أوراقه، فلقد نالت منه تلك العبارات بعض الشىء، فتملكه خليط من الدهشة والإعجاب والخوف من هذا الكبرياء الفريد، ينتفض من فوره ناهرا إياها: كفى كفى قد سمعت ما فيه الكفاية على اسمعا فى النهاية من منكما نقطع أنفه.. (وبصوت جهورى) من منكما..؟

ينتفضان فى صوت واحد: أنا... ، بينما الضابط يضحك منهما بسخرية فجة قائلا: بلا انتما الاثنان .. يتوجه الضابط إلى باب الغرفة مناديا أحد الجنود من الخارج، أمره بأن يأتى له بسكين ومقص فاندهش الآخر وقال له كما تعرف سيادتك أن كل ما ترغب فيه موجود داخل هذا الصندوق) وأشار إلى ركن من أركان الغرفة يحتله صندوق حديدى متوسط، ولاشك أن الضابط يعرف ذلك جيدا ولكنه آثر أن يرى على وجوه الضحايا الرهبة والخوف عل ذلك يمتعه ويشبع غرائزه الدموية ولكنه كان عاجزا أن يصل إلى بغيته.

كان الجند فى خارج المبنى يستعدون لداهمة منزل محمد وأخوته وحشد كثيف وأسلحة متنوعة وقنابل مسيلة للدموع، وفى هذه الأثناء

كان باسل الأخ الأكبر لمحمد يقترب من المبنى عابرا الطريق، صمم الجند أن يخضعوه للتفتيش فإذا بانفجار مدويا قد شمل المبنى وجميع المكاتب المجاورة وحجرات التعذيب، انفجارا صعق من لم يصبه أذى الموت وتهدم المبنى فوقع الضابط تحت أنقاضه ، بإحدى يديه السكين وبالأخرى المقص ، ليدخل المقص فى ثقب الأنف فيخرج من بين عينيه، بينما محمد وأمة كانا فى ركن الحجرة المقابل التصقا بعمود بها، وقد سقط سقف الحجرة إلا هذا العامود الذى أويا إليه، لينتج عن ذلك كسر فى ذراع محمد الأيسر بينما أمه شجت رأسها وأغمى عليها، فأراد محمد أن يهرب بها محاولا إفاقتها ، بينما انشغل الجند أمام المبنى وفى ميدان الحادث وهم فى ذعر شديد يتناولن أشلاء زملائهم فى خوف ورهبة وتقزز، منهم من أغمى عليه، ومنهم من يختبىء وراء جدار أو داخل دبابة، بينما خلف المبنى كان خاليا تماما من الجند، نجح محمد فى إفاقة والدته وخرجا من فتحة كبيرة فى الجدار، يسرعان فى الهرب، يعطى القائد الأعلى أوامره بمحاصرة المكان بأكمله عبر مكبر صوت وصل مداه إلى سمع الهاربين قبيل الوصول إلى حقلهما، لكنهما لم يعيراه اهتماما ولاخوفا وتابعا المسير، تلمح الأم على بعد طفلها ذا الخمسة أعوام يجلس القرفصاء وحده، وجهه الأبيض المشرب بالحمرة وشعره المتهدل فوق جبينه بنعومة عمره، واستدارة البراءة فى عينيه تفصح عن جرأة مسئولة وعدم مبالاة بالجبن، وذكاء لا تحتمله أعوامه الخمس، ولؤلؤلتين تنحدرا فتبللان ركبتيه، يغنى بصوت ندى شجى:

غريب بأرضى غريب وجودى   ليتك أمى فى يوم تعودى
تمنيت أن لو آتى إليك   ولكن صغيرا وما اشتد عودى

يتحشرج صوته بالبكاء فينكفىء على ركبتيه منهمرا فى بكاء عزيز الصوت شحيح النحيب، تتساقط أدمعه من بين ركبتيه فوق ذراعه الأخضر، يخيل إليك أنه يتمايل مواساة وتضامنا مع الباكى، تسمعه الأم تقترب وتهرول نحوه تسمى الله ثم تسميه باسمه (أمل) أنا أمك أنا هنا يا حبيبى، يرفع رأسه ببطء شديد وكأنه حلم، يتفحص وجهها جيدا، لازالت يداه حول ركبتيه، يتأملها بعينين حنونتين وشج فى أعلى رأسها يغمرها حمرة لا تمحو ملامحها ، تتسلل الفرحة شرايين الوجه فينطلق لسانه فى لهفة مذهولة وكلتا يديه قد استقرتا حول عنقها مرددا أمى.. أمى، بينما راح محمد يمسح على رأس أخيه فى حنو ودمعات غزيرات تحشرج الكلام فى حلقه فلا ينطق.

انتشر الجند فى جميع الأمكنة كأسراب نحل هائلة، يضربون ويهدمون ويتوعدون ، يطلقون الرصاص بعشوائية وقحة على الغادى والرائح، وإذا بنفس خبيئة تلمح على بعد هذا المشهد ولقاء لم يكن فى الحسبان قد أورده القدر، وبابتسامة الأحقاد القديمة والتلذذ بالتشفى تضع يدها على زناد البندقية تركز فى نيشانها على(أمل) وهو بين أحضان أمه، تدور الأم بطفلها وتضمه ضما شديدا وكأنه الودا ع، يتحير معها النيشان والتركيز ، لكن الجندى فى النهاية مل هذا التشتت فأطلق عدة طلقات استقرت بظهر الأم، تلتها عدة طلقات أخرى نال منها محمد ما نال، تقع الأم على الأرض، ينصرف الجندى إلى بغيته دون مبالاة أو تأنيب من ضمير، يتركه وقد انكفأت على ولدها وقد تندى جبينه بدماها وصدره بفتات قلبها ، شريان من الدم تفجر كنهر لا ينضب ، يحاول الصبى أن يخرج من تحت الجسد

النابض بالحرية، ووجه طلق كأنه النور، وبسمة فوق الشفتين آن لها أن تستريح ، يخرج من تحت الجسد، يسبل عينى والدته يقبلها بدموع الأرض التى امتلأ بها جوفه .، يلقى نظرة على الجندى بعد ما مضى، نظرة النقمة واللعنة والانتقام يتربص به فى أرجاء القرى والمدن، فى مقاهيهم، فى منازلهم، فى ثكناتهم ، انتقاما لا يطفىء لهيبه قتل البلايين منهم، يعود بنظره إلى محمد، محمد الذى فاضت روحه من فوره، يسبل عينيه ويقبله فى جبينه، يخلع قميصه ويشقه نصفين، نصف يغطى به وجه أمه والآخر وجه أخيه.

يمشى (أمل) تاركا وراءه ذكرى حبيبين ، تحمل ثأريهما، فلابد أن يكون رجلا ، ما عاد له وقت يضيعه فى الطفولة فمثله لابد وأن يولد رجلا، من بعيد يمسح ببصره جسد أمه ، يقطع المسافات ثم يعود إليها مهرولا متلهفا أمي..أمي... يلتف ساعده حول عنقها ، يرفع القميص ويقبلها قبلة عزيزة أخيرة، يغسل وجهها البلورى بدمعاته البريئات الشقية، بدمعات الرجل الطفل، يغطى وجهها مرة أخرى ويقوم ليفعل نفس الشىء بأخيه ينهض من فوره يمشى بلا تخوف ، يمضى بظهره متجها بوجهه للأحبة يلوح لهم إلى لقاء ، إن موعدنا قريب.. قريب...

كل خطوة كان يخطوها كانت تزيده هيبة ورجولة ، يسعى لتحقيق الحلم وحده دون تردد أو هوادة كلما تباعد كان أكثر وضوحا وجلاء، تراه يدنو رويدا رويدا من الذين يفضلون الموت على كسر أنوفهم.

ورقة الأمانى الشهرية

عندما تسلم الأستاذ رجاء راتبه الشهرى الذى طالما اشتاق إليه عبر ثلاثين يوما بالكمال والتمام أشرقت السعادة فى نفسه وبدا التفاؤل على وجهه جليا، رغم علمه تمام العلم أن هذه الجنيهات ستذهب إلى أصحابها الذين ينتظرونها بفارغ الصبر وكامل الشوق، وأن عليه بادىء ذى بدء أن يبدأ بشراء دواء الضغط الشهرى لم يتبق فى جيبه سوى حبة واحدة، يلمح صيدلية على البعد يعبر الشارع دون تردد، يدخل الصيدلية يهم بإخراج المبلغ المطلوب للدواء وإذ بأصابعه تصادف ورقة فى جيبه يخرجها يقرأها والصيدلى على أهبة الاستعداد لتلبية طلبه بينما يضطرب الأستاذ رجاء يبحث عن عذر ليخرج من الصيدلية قائلا (آه... لقد نسيت اسم الداء معذرة) ينصرف مسرعا إلى الخارج تتناوله عدة أفكار متفرعة كل فرع منها متفرع إلى فروع كثيرة يشعر بدوار يلجأ إلى إحدى الحدائق، راح يفكر ماذا سيفعل كان عليه أن يعود إلى البيت ومعه بعض الحلوى التى تعلن عن انفراجة الأزمة وهلال أول الشهر العزيز مع استلامه للمرتب لكنه وككل شهر يحصى التزاماته التى تلتصق بجدار الدماغ التصاقا وثيقا وهذا الإحصاء إجباريا وليس اختياريا فصاحب المنزل ينتظر الإيجار، وشركة الكهرباء ووصل الغاز وفاتورة المياه بالإضافة للدروس الخصوصية التى عادة ما يدفعها مؤخرا وهذا فقط لأن المدرسين والحمد لله جيرانه على اعتبار أن الجار للجار فهم

يصـبـرون ويمهلونه فـقط لآخـر الشـهـر ليس أكـثـر من ذلك، ومن المفـترض شـراء حـذاء حـريمى للمـدام على وجـه السـرعـة حـيث إن حذاءها المذكور قد نالت منه الأرصفة والشوارع نيلا عظيما قرابة خـمس سنوات وقـد تمت مـعالجـتـه أكثر من ست مـرات وتم تأجـيل شـراء حـذاء جـديد مـرات عـديدة، (مـاذا أفـعل وأقل حـذاء بشىء وشويات، ولكن لابد مما ليس منه بد) ثم هذه الورقة التى فوجىء بها فى جيبه عاود قراءتها مرة أخرى وهو طلب شهرى يلح فيه الأولاد منذ زمن ويطالبون بتحقيقه أيا كانت النتائج وأنهم مستعدون فى سبيل تحقيقه إلى أى تنازلات يراها الوالد من التزاماته تجاههم، مطلبهم لم يكن دش بالشىء الفلانى لم يكن صيفا ممتعا يقضونه على شـواطىء مـارينا لم يكن عـربة فـارهة أو حـتى مـتواضـعـة أو عـضـوية فـى نادى شـيك أو حـتى الذهاب للأوكـازيونات لشـراء مـا يلزمهم من ملابس ، أنهم يعرفون ماتتيح به قدرات والدهم جيدا فلم يجرؤ أى منهم بأن يحلم بشىء كهذا، كان مطلبهم غريبا وربما بدا بسيطا ولربما كان له أكبر الأثر فى عجز الميزانية بالكامل والقصور فى بنود أخـرى بدت أكـثـر أهـمـيـة، تبلورت أمنيـتـهم فـى رصـد هذا الطلب لتحـقـيـقه وتحـمل النتائج أيا كـانت، هذا الطلب طالما حلمـوا بتنفيذه على أرض الواقع يتمثل فى وجبة شهية نعم وجبة شهية غير عادية ألا وهى وجبة (كباب وكفتة) يتناولونها داخل مطعم - عم منعم - القـائم فـى نفس الشـارع، إن المعـدة التى تعـرف الفـول المدمس والبـصارة والعدس والكشرى وأحـيانا الفراخ البيـضـاء تاقت إلى مـعرفـة هذا الشىء ورائحته التى تزكم أنوفهم كلمـا غدوا أو راحوا تثير الفـضـول فى نفوسـهم لمعـرفـتـه عن قرب إنهم يعـرفـون اسمـا له

جيدا ولكن لابد لهم من معاينة ذلك حتى إذا ما تحدث أحد الزملاء مرة أخرى أمام أحدهم فى المدرسة وراح مستطردا يقول: إن بالأمس (بابا عزمنا على أكلة كباب وكفتة) سمع بقية الزملاء يقولون (ياه .. يا بختك يا عم) ورأى أصحابه وقد انساب لعابهم كلما ذكر هذا الشيء كان لابد لهم من مشاركة الزملاء العلم بالشيء حتى تتثنى لهم المشاركة بحق فى قولهم (يابختك يا عم) ثم أن كلمة (والنبى يابابا ربنا يخليك ماتكسفناش المرة دى) التى تحملها هذه الورقة كانت لها أبلغ الأثر فى نفس الأستاذ رجاء، هذا الأستاذ الذى لم تغره المحال الأنيقة المكتظة بالملابس المختلفة التى هو فى أمس الحاجة إليها والمواد الاستهلاكية التى يراها دائما على شاشة التليفزيون والتى يتمنى فى كل يوم يعود فيه إلى البيت أن يحمل معه منها مالذ وطاب للصغار الأعزاء ، أسقط الأستاذ رجاء من حسابه الدواء الشهرى، وغض بصره عن كل ما يثير فيه رغبة الشراء، أخرج من جيبه آخر حبة للضغط كاد عقله أن ينفجر من شدة التفكير ماذا يؤجل وماذا يرصد لتحقيقه فى هذا الشهر وكيف له أن يبدو كل شهر عاجزا أمام أولاده وهو يرى فى أعينهم الصغيرة باستمرار نظرات الشفقة وتقدير الظروف أيكون أبا (على ما تفرج)؟.

فسعادته فى تحقيق أمانى الأولاد ما بعدها سعادة، فماذا يفعل وقد بات كل شيء صعبا ومستحيلا وكل ما يقدمه ويبذله من مجهود فى العمل وحرقة دم طول النهار لا يكفى لسد احتياجاته الضرورية، مل لعبة التأجيل والديون أحيانا كثيرة، تنبه فجأة وكأنه قد وصل إلى حل يرضيه فتهلل وجهه مرحبا بتلك الفكرة قائلا(ماله الكركديه

والدوم ماهو علاج للضغط مية مية).. راح يسقط الدواء من حساباته فى هذا الشهر مستبدلا الأعشاب الطبيعية فلقد وجد ضالته فالدوم والكركديه كفيلان بالحل، راقته هذه الفكرة جدا، أما الحذاء المنتظر ـ فلابد من تأجيله مع اعتذار رقيق لزوجتى العزيزة فهى تقدر الظروف دائما ـ ثم راح أمام دكان ـ عم منعم ـ يستعرض أسعار (الكباب والكفتة) يضع يديه فيجيبه رافعا رأسه بشموخ قائلا وهو يتنفس الصعداء (أهى مرة واعمل فيها غضنفر ادام العيال، ايه يعنى ٧٠، ٨٠ جنيه واخلص من الدين ده وخلاص مانا برده من ضمن المستفيدين بالفكرة، والشهر الجاى نتابع تحقيق الأمانى، آه ياويلك يا شهر يا جاى من اللى مستنيك لو تعرف عمرك ما تيجى أبدا..!) تفحص السابقين له بداخل المطعم تفحصا جعله يقول فى نفسه بزهو وفخر (دلوقت الروس تتساوى ولافيش حد أحسن من حد) اتجه فى الجهة المقابلة يتصل من سنترال بزوجته يخبرها بصوت عال جذب آذان من حوله (أنا النهارده عازمكم على أكلة كباب) تندهش زوجته تنطق بكلمات : أنت اتجننت يا رجاء، يحاول أن يضبط أعصابه ولا يعلق على كلماتها متجنبا نظرات من حوله متابع كلماته معها يرسم ابتسامة مصطنعة (ما انت عارفة المكان، عند عم منعم طبعا اللى على أول الشارع)، وهمس بصوت منخفض (خللى العيال يلبسوا أحسن حاجة عندهم) بصوت مسموع (أرجو أن تأتوا بسرعة)

ـ ألم تخبرنا أنك آت نحن الذين فى انتظارك كالعادة .

ـ لا لا لقد غيرت رأيى سأنتظر أمام المطعم .

ـ (بعصبية شديدة) إيه الكلام اللى أنت بتقوله ده

ـ يووه

- فكرت كويس ياخويا.

- يا ستى اتنيلت وفكرت كويس هابقى افهمك بعدين، سامحينى عشان هأجل طلبك المرة دى كمان أرجوكى لانقاش بعد اتخاذ القرار والأمر منتهى فى ذلك.

وقبل أن تلفظ الست عدلات بكلمة واحدة قال لها (لا نقاش يا عدلات ياعدلات لا نقاش ولاحظى أننى انتظر بمدخل شارعنا وقد استطاعت رائحة الشواء أن تستولى على كل مشاعرى بتأكيد الموافقة).

- وما أن وضع السماعة حتى توافد الأولاد تباعا يعلنوها فرحة مدوية بتحقيق تلك الأمنية، تأتى عدلات تنظر فى عمق أفكاره، يخبرها (خلاص بقى يا عدلات مش قلنا لا نقاش).. يدخلان معا إلى المطعم، يتناول الأولاد الطعام مستمتعين تمام المتعة به بينما راح الأستاذ رجاء والست عدلات يتناولان متعة أخرى ألا وهى التأمل فى فرحة أطفالهم بتحقيق هذه الأمنية الغالية التى طالما طالبوا بتحقيقها ولو على رقابهم، يهم الأستاذ رجاء بأن يلقم لقمة فيتذكر طابور من الالتزامات مازال ينتظره لم يشعر بطعم ما يأكل تلاحظ عليه زوجته شروده فقد انتابها نفس تفكيره ، تحاول أن تهون عليه الأمر فتهمس له بابتسامة (أستاذ رجاء المرة دى مش هتتكرر تانى فركز كده وكل ما وماتضيعش على نفسك فرصة الله أعلم هتتكرر إمتى) يرد وقد صحا من شروده يمسك الطعام بنهم(على قولك وعلى رأى المثل اللى بيقول كل وبحلق عينيك أكلة واتحسبت عليك.. كلوا يا أولاد بالهنا والشفا كل شهر وانتم طيبين ، يلوك قطعة من الكباب قائلا فى نفسه : ربنا يستر..

حوار مع أبى الهول

فى صباح يوم جمعة كان هانى يستعد للنزول من المنزل استعدادا لرحلة المدرسة إلى الأهرامات وأبى الهول وكان قد أعد كل ما يلزمه فى هذه الرحلة وتأهب للنزول وقبل أبويه ونزل بسرعة البرق حتى أنه لم ينتظر صعود المصعد إليه فقد كان على عجلة من أمره، فهو يود أن لو كان له جناحان يطير بهما إلى هناك ولو عرف السبب لـ..

فهانى، طفل فى الحادية عشرة من عمره مجتهد فى دراسته ومتفوق جدا، وأيضا هو يحب القراءة والاطلاع ويحب وطنه حبا شديدا، ويعشق مصر عشقا رائعا، ويعشق نيلها ، ويعشق أجداده أصل الحضارة على أرض هذا البلد، بل والعالم أجمع، فهو يقرأ عن الفراعنة كثيرا، يقرأ عن حضارتهم، وعن حكمهم ، عن عظمتهم ، ويتمنى أن لو يعود به الزمن فيعيش ويحيا بينهم يستنشق حضارة الماضى وعبق أمجاده.

واليوم.. اليوم هو ذاهب إلى أحبابه .. أجداده، فهو يشعر بسعادة بالغة، فرحته بهذه الرحلة تختلف عن فرحة أى طفل بتلك الرحلة، فهو ذاهب بحب لا لمجرد اللهو أو اللعب ، فهو يحس بداخله أنه هو امتداد لهم.

فلما توقفت السيارة عند سفح الهرم صاح الأطفال داخل العربة فرحين بوصولهم إلى مقصدهم فقال هانى: الحمد لله وصلنا

بالسلامة .

المشرف: أرجو النظام فى كل شىء فى النزول من العربة وفى الصعود إليها مرة أخرى .

(التزم الجميع بأوامر المشرف وهدأ الأصوات وتوالوا فى النزول من العربة) .

المشرف: لا تتسرعوا فى النزول حتى لا يؤذى بعضكم بعضا وسوف أنادى الأسماء فمن يسمع اسمه ينزل ويقف بجوار العربة وبعدها سوف نتجه لمقابلة أبى الهول (وكان يبتسم وهو يقول هذه العبارة ويقول موجها كلامه إلى هانى) أليس كذلك يا هانى؟ .

فضحك هانى وقال: هو كذلك يا أستاذ .

(فلما فرغوا من هذا اتجهوا إلى أبى الهول) .

يقول المشرف: هذا هو أبو الهول كان فى البداية من صنع (خفرع) صاحب الهرم الثانى فقد قام بنحته فى بادىء الأمر على هيئة تمثال صغير له رأس إنسان وجسد أسد، وأسند إلى معماريه أن يقوموا ببناء هذا الصرح العظيم.

(كان هانى أثناء الحديث ينظر إلى أبى الهول فى تأمل وتوأدة وإعجاب) فقال له المشرف مبتسما: هانى.. ماذا بك لماذا تقف كالمذهول هكذا.. ماذا بك ألست معنا أم مع من تحب؟ .

يبتسم هانى قائلا: لا لا بل أنا معكم جميعا ولكنى أشعر بشىء من السعادة والفخر.

وبينما يسترسل المشرف فى الحديث عن أبى الهول والأهرامات كان الخيال يطوف بهانى إلى دنيا الفراعنة العظام فلما استبد به الخيال بعد ما دقق النظر فى أبى الهول، وبعد تمعن شديد اتجه بكل

مشاعره وأحاسيسه ليقول له.. حدثنى يا جدى العظيم حدث حفيدك عنك، عن الأهرامـات، بل أود أن تحـدثنى عن الهـرم الأكبـر، هذا الصرح العظيم، فقط أريدك أن تحدثنى عنه لا لأنى أحبه هو فقط من دون الآثار ولكن لضيق الوقت ولأننى أيضا أريد مزيدا من المعلومات عنه وأريد أن تجيب على بعض الأسئلة بخصوصه، أنا أحبكم جميعا وأعشق فيكم حضارتكم التى هى سر عبقريتكم فأرجو أن تسمح لى بهذا الحوار الذى حتما سوف يسعدنى.. وبلغ الخيال ذروته فراح يجرى معه حوار:

قال : جدى.. هل تسمح لى فى أن نجرى حوارا سويا؟ .

أبو الهول: أهلا بك يا حفيدى الصغير بين أجدادك ، ماذا تريد أن تسمع منى؟ وما السؤال الذى يلح عليك لتنطق به؟

هانى: ما سر عبقرية هذا الهرم الأكبر بينما هناك العديد من الأهرامات الأخرى المنتشرة فى جميع أنحاء العالم مثل أمريكا الجنوبيـة، والوسطى، والصين ، وجبـال الهيمـالايا ، والمكسـيك ، وكمبوديا ، وفرنسا، وإنجلترا ، ثم أن فى مصر أيضا ثلاثين هرماً غير هذا الهرم الأكبر فبماذا يتميز هذا الهرم عن غيره من باقى الأهرامات التى ذكرناها؟ .

أبو الهـول: ذلك يا ولدى لأنه أنشىء على أسـاس علم هندسى عظيم لم يطلع على سره سوى عدد محدود من العلماء والحكماء، وهو سجل للعصور وتاريخ للماضى، ومفتاح لأحداث المستقبل.

هانى: تعددت الأقوال وتباينت حول مفهوم الهرم... لماذا بنى؟ .

فمنهم من قال : إنه معبد ومنهم من قال : إنه مقبرة، بل منهم من قال أيضا إنه كان مرصدا فلكيا دقيقا باستخدام قاعته الكبرى.

أبو الهول: يا حفيدى العزيز إن أول شىء كان يفكر فيه الملك بعد تولية الحكم، هو أن يشيد لنفسه مقبرة ويصدر أوامر إلى معماريه وإلى رؤساء العمل لتنفيذ هذا المشروع وليظهر من خلاله ما كان عليه التقدم المعمارى والهندسى فى عصره وما وصل إليه من تقدم وعبقرية.

هانى: ولماذا اختير هذا الموقع بالذات؟

أبو الهول: لأنه كما تعرف ياولدى أن مملكة الموتى كانت تقع فى الناحية الغربية حيث تغرب الشمس هذا أولا، وثانيا أن الهضبة الغربية وبخاصة الجزء القريب من العاصمة القديمة (منف) فهى قريبة من الأرض المزروعة وترتفع فجأة إلى ارتفاع قدره ٦٥ مترا، وسطحها يكاد يكون مسطحا وليس فيه إلا عيوب طبيعية قليلة، زد على ذلك أنه يمكن الصعود بسهولة إلى الهضبة من وديان كثيرة كان يستخدمها العمال كطرق صاعدة لنقل المواد اللازمة.

أما الموقع ذاته فيجب أن يكون كتلة من الصخر حتى تتحمل ذلك الثقل الضخم العظيم الذى يقام فوقه، كما أنه يجب أن يتوافر فى هذا المكان وجود الحجر الجيد اللازم للبناء، وأن يكون على مقربة منه محاجر يسهل الوصول إليها.

هانى مندهشا ومعجبا : يبدو أن كل شىء كان مدروسا بعناية ودقة.

أبوالهول: بالطبع يا ولدى .

هانى: وكيف كانت تنقل الأحجار؟ .

أبو الهول مبتسما: كانت تنقل من محاجر (طرة) بواسطة الثيران التى تجر زحافة فوقها كتل من الحجر، وهذه الطريقة لم تكن هى

المتبعة دائما لأن أكثر ما كان يتم من رفع الأحجار أو جرها إنما كان يتم باستخدام عدد كبير من الرجال يجرون الزحافات التى فوقها الأحجار بواسطة الحبال.

هانى بشىء من التهكم: يبدو أن هذا العصر كان عصر لتسخير العوام من الشعب لتحقيق أغراض الملوك وأهواءهم!

ومن يكون (خوفو) حتى يسخر هذا الكم الهائل من البشر خلال ٢٠ سنة حتى يصنعوا له قبرا فخما كهذا؟

• أبو الهول غاضبا وبحدة: أنت أيها الحفيد الذى لا يدرى شيئا عن شىء.. ماذا تقول؟ أتهزأ بأجدادك وقومى أصحاب الحضارة العريقة والعلم الذى ما توصلتم إليه أنتم فى صغركم هذا؟ هانى بشىء من الحدة والدهشة أيضا: ماذا؟.. كيف هذا ؟ ألم تر أننا جبنا أرجاء القمر؟ ألم تر المدنية التى تحيط بك من كل جانب؟ أما علمت بالطائرات التى تقطع الزمن والمسافات فى جزء من نهار للعبور من قارة إلى قارة؟. بالإضافة إلى الاتصالات والأقمار الصناعية التى جعلت العالم كقرية صغيرة، فإن ما يحدث فى أمريكا الآن أستطيع أن أشاهده وأنا هنا فى بلدى مصر على شاشة التلفيزيون دون أى عناء أو جهد أو وقت؟والصواريخ عابرة القارات هذا بالإضافة إلى التقدم فى الهندسة والطب وفى شتى مجالات العلوم.

أبو الهول متريثا مبتسما: على رسلك ياولدى ولا تغضب فلكل فكره، وقد ألم بكم ثبات عميق وفقر فى الفكر سنوات طويلة وأقسم أنه لو استمر عصرنا حتى اليوم لرأيت من علمنا وحضارتنا العجب العجاب، ولرأيت تقدما هائلا مذهلا يفوق ما تتحدث عنه اليوم بكثير

، ثم أنك تتحدث عن الطائرات والصواريخ وغيرها ، ونسيت أن تحدثنى عن القنابل الذرية والصواريخ والأسلحة النووية التى تحطم ملايين البشر، وتهدم حضارات الأمم، لقد تفننتم فى إبادة بعضكم البعض، لقد كان زماننا أهدأ وأأمن من ذلك بكثير.

هانى: كل حضارة وكل تقدم له إيجابياته وسلبياته فلندع هذا الحديث جانبا، ولنكمل سويا حديثنا.

أبوالهول مستسلما لقول هانى وبصوت هادىء: وهو كذلك ولسوف أقص عليك وأخبرك أولا من هو (الملك خوفو) صاحب الهرم الأكبر والذى أمر ببنائه ليكون مستقرا أبديا لجثمانه وهو اب من (سنفروا) وأمه هى الملكة (حتب - حرس) وقد حكم ثلاثة وعشرين عاما وتزوج أكثر من واحدة، وكان له أبناء وبنات كثيرون، وأقيمت فى عهده مبان كثيرة فى أماكن شتى فى كثير من أرجاء مصر، وكان خوفو ممن عنوا باستغلال مناجم سيناء والنوبة والصحراء الشرقية من ثروات معدنية ، وكان لأسرته وكهنته وموظفيه مقابر كثيرة وهى دليل صريح وناطق على التقدم الفنى فى أيامه، وترى هذا الدليل نفسه فى تقدم وإتقان الأعمال الفنية والمعمارية التى تشاهدها فى بناء الهرم الأكبر.

وفى العصور التالية كان اسم (خوفو)(تنميمة قورية لمن يحملها وهذا الاسم مذكور على جعلان «جعارين» كثيرة كان يحملها المصريون القدماء كتمائم تحميهم، كما ارتبط اسمه أيضا بكثير من الأساطير.

هانى مندهشا: فما بال أقوام يقولون إن الملك «خوفو» كان ظالما عاتيا، وأن شعبه كان يكرهه لأنه استعبد فى بناء قبره الفخم،

ومازالوا يرددون ذلك!.

أبوالهول بهدوء وروية: ظلم وبهتان ياولدى وحقد دفين على حضارة أجدادك .. تاريخ المصرى ياولدى خال من هذه الادعاءات فقد كان الملك خوفو ملكا قديرا نشيطا ازدهرت فى عصره البلاد ووصل الفن أعلى درجاته حينذاك فى كل شىء.. لقد كان ملكا مقدسا ولا شك أن رعاياه كان يسعدهم أن يشتركوا فى إقامة مبانيه الخالدة ، وهل تثمر السخرة فنا راقيا؟ وهل يثمر الاستعباد عن آيات العمارة والفن؟؟؟

لقد كان لعمال الهرم مدينة لهم كمثل حالكم اليوم فى مدنكم الصناعية وكان العامل يؤجر ويثاب على عمله، فكانت لهم مساكن خاصة بهم، ولهم ما يحتاجون إليه من طعام وشراب وكافة ما يلزم الواحد منهم، لا .. لا يابنى،وإن كان حقا مستبدا كما تقول .. ظالما كما تدعون... عاتيا فمن غير المعقول أن يكون فى استطاعته ترك البلاد فى حالة اقتصادية مستقرة ساعدت ابنه خفرع على بناء الهرم الثانى وهو بناء يكاد يماثل هرمه فى عظمته.

هانى مبتسما مطمئنا فرحا لما سمع عن أجداده هادىء البال يستنشق نفسا عميقا ويقول: صدقت يا جدى.. صدقت وإذا كانت هذه الادعاءات صحيحة لاستحال استمرار وجود كهنة «خوفو» بعد مرور أكثر من ألفى سنة بعد موته.

وينظر «هانى» إلى الهرم بفخر وزهو ويتجه إليه بكامل جسمه وهو واقف وهو يشمله بنظرته الحانية: يالك من صرح عظيم (ثم يلتفت مرة أخرى إلى أبى الهول فيقول) : أتعرف ماذا قال يا جدى المغرمون بالإحصائيات عن هذا الهرم وعن اتساع قاعدته؟ .

أبوالهول ضاحكا: ماذا ياولدى؟ .

هانى: لقد قالوا أن هذه المساحة تتسع لمجلس البرلمان وكاتدرائية القديس بولس فى إنجلترا ويبقى منها بعد ذلك مكان كبير غير مشغول ، وهناك حسبة أخرى يتضح منها أن المساحة التى تشغلها قاعدة الهرم تكفى لأن تشيد فيها كاتدرائية فلورنسا وميلانو، والقديس بطرس فى روما وكذلك كاتدرائية القديس بولس، ودير وستمنستر فى لندن.

وعندما كان نابليون فى مصر حسب أنه يوجد فى الهرم الأكبر وما جاوره من أهرام أحجار تكفى لإقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسمكه متر واحد، وقد أيد أحد الرياضيين الذين كانوا من علماء الحملة الفرنسية هذا التقدير الذى حسبه نابليون، وقيل أيضا أننا لو قطعنا جميع أحجار الهرم إلى أحجار صغيرة حجم كل منها قدم مربعة واحدة، ثم وضعنا هذه الأحجار كل منها إلى جانب الآخر لأصبح طولها ثلثى طول الكرة الأرضية عند خط الاستواء، ولما لا وقد احتوى الهرم الأكبر على عدد من الأحجار يبلغ ٢.٣٠٠.٠٠٠ حجر.

أبو الهول: أعلم ياولدى كل هذا وأكثر فأنا فى مكانى هذا شاهد على العصر وعلى كل مجريات أموركم الماضية والحاضرة، وأتذكر كلام بعض علمائكم ممن تحيروا فى بناء هذا الصرح العظيم، لقد كانوا يقولون عنه معبدا للأسرار،. وقالوا عنه أيضا إنه مرصد، ثم قالوا بعد ذلك إنه مقبرة (ثم يضحك أبو الهول ثم يعود مرة أخرى للحديث) ولكن الأهم من ذلك كله أن هذا البناء الشامخ ما هو إلا شاهد ودليل واضح على مدى تقدمنا فى فن البناء، والعمارة،

والهندسة ، ويكفى أنه مازال حتى الآن يخلد اسم «خوفو» الملك العظيم .

هانى: أجل يا جدى صدقت... ولكن أخبرنى يا جدى هل حقا للهرم مزايا أخرى غير أنه صرح عظيم البناء وواجهة حضارة؟ .

وهل هو مؤهل للحياة والعيش فيه؟ أقصد بشكل أوضح هل كان مؤهلا لاستقبال الملك بعد عودته للحياة مرة أخرى حسب اعتقادكم؟ .

أبو الهول: نعم ياولدى نعم.. .فإننا نؤمن بالبعث والحياة الأخرى، ولذلك حرص المهندسون والمعماريون على أن تكون هناك فتحات للتهوية داخل الهرم فيستطيع الفرد منا أن يتنفس هواء نقيا فلا تحدث له أية اختناقات ، أو أى شىء يضره، وبرغم أنه مقبرة فهو فى نفس الوقت بيت صالح للمعيشة التى تكون بعد البعث، ويمكنك أيضا أن تحتفظ بأى شىء بداخله مدة طويلة مثل اللحوم، والخضراوات، والفواكه ، بل إنك تستطيع أن تحتفظ بداخل الهرم لمدة طويلة باللبن الحليب ، فهو لا يفسد داخل الهرم ثم أنه بعد أيام لا يتعفن بل تستطيع أن تأكله وقد أصبح زبادى.

كل شىء داخل الهرم ياولدى صالح للحياة و،لا يتعرض للتلف مطلقا بل لعلك تعجب حين أخبرك أن بعض الحيوانات التى دخلت الهرم وضلت طريق الخروج منه ماتت بالداخل ، ولم تتعفن ، وجدوها تقريبا محنطة داخله، بل وأكثر من ذلك إذا أتيت بإناء به ماء وتركته عدة ساعات داخل الهرم وأخذته بعد ذلك لتغسل به وجهك زادك ذلك نضارة وبريقا وجدد من شبابك وحيويتك ، أرأيت ياولدى كيف كان أجدادك عظماء يحسبون كل شىء لأى شىء! .

هانى بصوت المتأمل الذى يسحره كل ما يسمع : نعم يا جدى نعم... وذلك له تفسير أن الهرم يتخذ اتجاه الشمال الجنوب المغناطيسى ولقد سمعت أكثر من ذلك عجبا!

أبو الهول: ماذا سمعت ياولدى؟

هانى: تسمح لى أن أجلس يا جدى

أبوالهول: تفضل ياولدى

وقد اتخذ له مجلسا على الأرض تأخذه النشوة فى الحديث فيقول: سمعت عن النبات المتراقص داخل الهرام! فلقد قام العالمان (شول وبتيت) بتجربة داخل الهرم بأن وضعوا نباتات داخل الهرم وخارجه أيضا، فوجدا أن النباتات تحقق معدلا مرتفعا للنمو عن زميلاتها خارج الهرم واستعانا فى ذلك بالتصوير المتابع على فترات زمنية متباعدة لمراقبة وتسجيل حركة ونمو البنات.

يقول(شول): إن مارأيناه عبارة عن نباتات تتمايل فى سيمفونية راقصة وكأنها تخضع فى تأودها لقائد موسيقى غير مرئى، وقد ظهر النبات وهو يتبع فى حركته دورة منتظمة بين الشرق والغرب، فكان النبات يميل أولا ناحية الشرق حتى يكاد يلامس القاعدة، ثم يدور فى حركة شبه دائرية حتى يتجه إلى الجنوب ثم يواصل دورانه، حتى يصل إلى الغرب، وفى النهاية يعتدل النبات فى اتجاه رأسى وكأنه يلتقط أنفاسه قبل أن يبدأ فى تكرار رقصته من جديد وكانت هذه الدورة تتكرر كل ساعتين.

أبو الهول: بل إن له دوراً كبيراً فى الشفاء من الأمراض والجروح، هذا بالإضافة كما تعلم أن له قدرة على حفظ السوائل، والمواد الجامدة، وأى جسم داخل الهرم لا يصيبه التعفن ، وله القدرة

أيضا على تنقية المياه فيجعلها صالحة للشرب ، وهذا يرجع لمجال الطاقة داخل الهرم وتردداتها العالية.

هاني: عجبا لهذا الهرم ياجدى! لقد قرأت ذات مرة فى أحد الكتب التى تتحدث عن الهرم الأكبر أن عالم يدعى (ايد بتيت) قص ما حدث له شخصيا، وحكى قصة علاجه داخل الهرم الذى صممه فى بيته أسوة بهرمنا الأكبر الذى يتخذ نفس اتجاه الهرم الأكبر الشمال، الجنوب المغناطيسى، ثم واظب على النوم داخل الهرم إذ كان مريضا (بالبروستاتا) لمدة ليلتين أو ثلاث من كل أسبوع ، بالإضافة إلى الانتظام فى شرب ماء الهرم وبعد ذلك بستة أشهر تذكر فجأة ذات يوم أنه لم يشعر بالمتاعب المعتادة (للبروستاتا) منذ وقت طويل، ولقد أكد الكشف الطبى أن حالة (البروستاتا) عنده قد أصبحت طبيعية تماما.

ثم هذه زوجته قد ألم بها ألما شديدا بأسنانها، فدخلت إلى الهرم وبعد مرور عشر دقائق من دخولها الهرم زال الألم تماما عنها وكأنه لم يكن ، وعندما كشفت بعد ذلك وجد أن أسنانها سليمة ولا تحتاج لأى علاج.

إن شكل الهرم نفسه ياجدى وخاصة إذا اتخذ اتجاه الشمال - الجنوب المغناطيسى يساعد على شفاء كثير من الحالات، وقد صنع كثير من العلماء عدة أهرامات من خامات مختلفة فمنهم من صنعه من الورق المقوى، ومنهم من صنعه من الخشب، وكان منهم من يصنع الهرم الصغير ليستخدمه فى شحذ شفرة الحلاقة فيستطيع أن يستخدمها عشرات المرات.

أبوالهول مبتسما: ذلك أن مجال الطاقة الذي يولده الهرم يخلق

نوعا من الترددات العالية التى تستجيب لها الخلية، أوالنسيج، أو العضو فيتحسن حالها وتصبح فى أحسن حالاتها.

ثم أن وجودك داخل الهرم له القدرة على علاجك من الالتهابات ، والإلتواءات (ثم يواصل حديثه وهو يضحك) وخاصة إذا ما كنت داخل هرم حقيقى وعظيم مثل هرم (خوفو).

(وفى هذه الأثناء علا صوت مشرف الرحلة ينادى الجميع بأن يأتوا إليه، فلما تنبه هانى)

قال: معذرة يا جدى يبدو أن الوقت قد أزف بالرحيل، وأنا مضطر آسفا أن أذهب الآن ولكن للحديث بقية إن شاء الله ولنا لقاء آخر قريبا بإذن الله، أنا لا أود مفارقتك ولكنى مضطر فهذه رحلة وقد انتهت ويجب أن أعود إلى البيت... سلام عليك يا جدى.

أبو الهول مبتسما حانيا: سلام عليك يا ولدى.

ومضى هانى وانضم إلى زملائه ، وإذا بصوت أبى الهول يتردد فى الأرجاء(كانوا أجدادك عظماء فحاول أن تكون عظيما). هانى يلتفت إليه والسيارة تسير ويدير وجه إليه من خلف زجاج السيارة: سأحاول يا جدى سأحاول.

وراح يلوح له بيده الصغيرة (مع السلامة يا جدى... مع السلامة)

خلف النافذة

فى صباح يوم وأنا جالسة فى غرفتى أتناول مشروبا ساخنا أتصفح بعض الصحف، وأقرأ بعض ما كنت قد كتبت من أشعار فأغير فيها أو أضيف، أحسست ببرودة شديدة أعرف مصدرها تلك النافذة المطلة على باب العمارة الخلفى، قمت لفورى وهممت بإغلاقها فاسترعى انتباهى ذلك الموقف فأرجأت الإغلاق لحين... شاب فى مقتبل العمر وفتاة فى مثل سنه يتخذان من ذلك الشارع الخلفى الهادىء خلوة أظنها للعتاب، كان الشاب يرتدى (بنطلون بيج) وقميص كاروهات أزرق غامق يتداخل معه الأزرق الفاتح وعلى رأسه هذه (الكاسكيت) الزرقاء التى يرتديها كثير من الشباب، (وإن كانت هذه الزرقة ذكرتنى بمن هم خلف الأسوار هناك) يضع كلتا يديه فى جيبه ويتحدث مع فتاته بشىء من اللامبالاة ويشيح برأسه يمينا تارة ويسارا تارة أخرى، أما هى فقد أسندت ظهرها إلى تلك السيارة التى كانت جاثمة أمام إحدى العمائر، لم أتبين شكلها تماما غير أنى لمحت رأسها وكلتا يديها التى قلما رأيتها تلوح بهما وهى تتحدث معه، كانت هادئة فى ردود أفعالها، بعكسه تماما، فكان يكثر من استخدام يده، يشيح برأسه، يتكلم بشىء فيه حدة ثم يبتسم ويعود لما كان عليه من قبل، ولا أخفى ولا أحاول أن أخفى أننى خشيت أن يفترقا على جرعة من الألم أو مسحة حزن، وربما أفضى ذلك إلى فراق، فتوترت أعصابى وتمنيت أن لو تدخلت فعساى أن أفعل شيئا، ولكن أنى لى بذلك؟، وآثرت أن أرى الموقف للنهاية دون

أن يشعر بى أحد وإلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

يبدو أنه قد ارتكب حمقا كبيرا.. آه أظن ذلك، فاتزانها الشديد يومىء عن ثقتها بأنها على حق وهذا يشعرنى أن بداخلها قرار ثابت قد اتخذته وانتهى الأمر، أما ما يفعله أو ما يقدمه هو من تبريرات، ما هو إلا تحصيل حاصل ولن يحرك تعاطفها وغفرانها، لكن وجودها معه حتى الآن يشعرنى بأن هناك أمل فى التصافى والتصالح، هى لا تلقى إليه ببعض الكلمات الموجزة بينما يستفيض هو فى الدفاع ورد الظلم عن نفسه، مع ظنى أنه لو انتهى هذا الموقف على ما هو عليه فلن يضار هو كثيرا، وستذهبين يا صغيرتى إلى البيت تغلقين باب حجرتك وتبقين وحدك فيها تقتاتين حزنك، وتلقين بجسدك إلى ذلك التاوين تدفنين فيه أنفاسك وحسرتك، تحتضنين وسادتك ، تبتلع أدمعاً طالما رأيتها على وجه مثيلاتك المعذبات ، ولربما آثرت العزلة واستهواك الألم فتعزلين نفسك عن الناس، تتخذين حجرتك ديرا قصيا ينأى بك عن كل البشر وتكون تلك نهايتك ، أما هو فأظنه أكثر صلابة على تحمل الألم وربما تركك ليذهب عند أحد أصدقائه يتفقون فيما بينهم على موعد للذهاب إلى دور السينما أو سهرة أمام أحد أفلام الفيديو ففى الوقت الذى فيه تخترقين وتقسمين جهد إيمانك أن تحرمى العشق على قلبك وألا تعشقى أبداً ما حييت لأنه لا يوجد بين البشر ولا يولد من يستحق كل هذا الحب وذلك الوفاء، وتخيلت مدى أحزانها هى وحدها دونه، ذلك ربما لأننى تعرضت للظلم يوما من ..؟

ذلك كان شرودى وتلك كانت استنتاجاتى ثم أفقت، فوجدت هذا الشاب يبتسم ويمسح عيناه فلم أدر أيمسح عنهما قذا أم دمعا؟ وتلك الفتاة الهادئة الذى ما كان هدوؤها إلا هدوء حزن قد أفقدها

القدرة على الانفعال ، فإذا به يخرج من جيبه على ما أظن «حافظة» ويتحدث بانفعال شديد وهو يبحث فيها عن شيء لست أدرى ما هو، أظنه يريها صورتها وأنه مازال يحتفظ بها، وبعد ذلك وضعها مرة أخرى فى جيبه، كانت قد بدأت فى حديثها الهادىء فى تلك اللحظات التى كان يعيد فيها الصورة إلى حافظته كان يسمعها جيدا وهو مطاطىء الرأس ثم .. ثم كانت المفاجأة فقد مد يده يحتضن يدها وأخذ حقيبتها يحملها عنها وهما بالانصراف وإذا بيدها تلتف حول خصره، ولمت نفسى كثيرا لشرودى لحظات فمن المؤكد أنه قد فاتنى بعض الأشياء الهامة قبل تلك النهاية الجميلة، كانت مفاجأة أسعدتنى كثيرا حتى أننى تمنيت لو كنت مكانها وأسعد بما تسعد به الآن وحمدت الله من كل قلبى أن انتهى ما بينهما على خير، كنت فى قمة سعادتى وأنا أراهما يسلكان طريقهما فى تؤدة وأمان مبتسمين ، يمضيان معا، مازلت أراهما من بعيد وأشب على أطرافى كلما ابتعدا، إنه يمسك بيدها ليقبلها، لم أر وجهها حتى الآن، رأيت ملابسها فقط، كانت ترتدى بنطلون(جينز) وقميص كاروهات، تقريبا نفس ألوان ملابس فتاها، كان شعرها الكستنائى الطويل ينسدل فى تمويجة جميلة، تباعدا ... ومازلت أشب على أطرافى حتى أجهدتها ، ابتسم سعادة بهما ولهما، وابتسم من نفسى حين أشب مثل الأطفال وهم يقلدون كبارهم ليوهموا أنفسهم بأنهم قد شبوا عن الطوق مثلهم، كل هذا وأنا مازلت خلف النافذة الصغيرةالتى كنت منذ فترة ليست بقصيرة أنوى إغلاقها ونسيت ما شعرت به من برد ولم أغلقها إلا بعد أن تلاشت صورتهما تماما عن ناظرى وأنا سعيدة جدا ..

اغتيال من نوع آخر

كيف تغفرين له وقد أعطيته ظهرك فطعنك دون هوادة أو رحمة لقد أمنت له فغدر بك وآمنت به فكفر بك وأسديت له العطاء فجحد ونكر وتفانيت وانتهيت فلم يعقب... هكذا كانت كلمات (منى) حازمة أفضت بها إلى (سهام) زميلتها فى العمل بعد ما قاربت سهام على الانهيار عند اكتشافها خيانة خطيبها وإفصاح سهام لها أنها مع ذلك لازالت تحب خطيبها جدا فكيف يكون التصرف إزاء هذا الموقف هل تسامح بعد كل ما تعانيه من مرارة أن تطوى هذه الصفحة من حياتها نهائيا وتثأر لكرامتها وتودع فيه حبا اختلط فيه الأمل بالألم والوفاء بالخيانة، تجيبها (منى) إن استطعت الغفران فاغفرى وإن أردت الثأر لنفسك فلا تترددى، وأظنك لن تفعلى!

- المسألة ليست سهلة

- لقد تعودت عليه فى حياتك وبالإرادة وإهمال العادة تستطيعين أن تقمعى هذه الجذور الرخوة، المهم هو البداية.

- وهل لى القدرة على أي بداية بعادة جديدة بهذه السهولة هذا إذا ما سلمت على حد قولك بأنها مجرد عادة، فهل لى أن أتنفس صباح غد ملء رئتى دونه، وأن أسير فى طريقى اليومى دون أن يصحبنى خياله إلى بيتى فى كل يوم ، هل لى أن أنام ملء جفونى دون أن أغمض عينى على صورته على موعد بلقاء فى أحلامى، وأن أرسم خطوط ثوب الزفاف دون أن أقرأ الفرحة فى عينيه وأسمعه

يغازلنى يقولها كما تعودت منه دائما (أنت رائعة.... رائعة) أستطيع الذهاب مع غيره لاستكمال الأثاث، وألواننا المتفق عليها منذ زمن هل لى أن أغيرها بتغييره، هل وهل وآلاف الهلال يا عزيزتى تحتاج إلى إجابات شتى، أطرقت (منى) هنيهة متأثرة بكلام سهام صامتة لا تجيب، تقول لها سهام ألم أخبرك أن الأمر ليس سهلا، إن اكتشافى للخيانة ألقى بالكرة داخل ملعبى لأتخذ وحدى قرارا ملائما، بل إنى أكاد أن أقول ليتنى ما علمت ولكن لابد لى من قرار، ترى لو كنت فى مثل حالتى فماذا أنت مقررة؟ .

بتصميم وعزم قالت بلا تردد (أنا... فليذهب هو إلى حيث شاء مع من اختارها أما أنا ... وقبل أن تنطق منى قالت سهام ستهملينه أم تمهلينه؟؟

- الأولى وبلا تردد.

- ربما

(٢)

فى السادسة تماما كانت (منى) على موعد مع (ماهر) ذلك الماهر الذى استطاع أن ينفذ إلى قلبها ويتربع فوق عرشه حبيبا وملكا عظيما، اليوم هى على موعد معه هذه الحظات الحاسمات قبل الموعد كان لها سحر عجيب وتأثير بارع فيرسم هذه الطفولة على وجهها وتصرفاتها فتراها تلمع حذاءها كأن بعد لحظات يؤذن للعيد بالدخول، تفرغ من كى ملابسها فى فرحة ولهفة، تدير شريط كاسيت(بحبك قولها للعالم، وما يهمكشى لو لاموا وأيامنا ياعشناهم ياخدنا الليل فى أوهامه بحبك قولها ما تخافشى هيجى اليوم ما تندمشى حرام قلبك يسيب قلبى غريق والشط ادامه) تردد النغمات

وتجـوب بين الغـرفـات كـأنما طفل هـم بالخـروج مع قـرنائه الذين ينتظرونه بالخـارج لتـبـدأ مـراسم العيـد، تخـرج من المنزل وكـأنما خرجت للحيـاة كأنما ولدت من جـديد في كل موعـد لها مع (مـاهر) كانت تولد من جديد، إنها تزداد جمالا وبريقا ، فراشة رائعة الجمال باتت تحلق فوق أغـصـان الأمـاني وللفراشـات عـالمهم الخـاص الذى يحـيا بدستور الجمـال... تنتظر في نفس المكان لقد أتت قبل الموعد كعادتها، باقى من الزمن دقيقتـان.. ما أبشعه الانتظار ..آه ياربى.. أعطنى الصبر، تمر الدقيقة وتبدأ الأخرى، هـاهو قد أتى ياه «الحمد لله» تحـتضن عيناهـا وجـهه الجـميل تتنفس الصـعداء، تعلو وتسـمو روحـها الوفـية عندمـا تراه مـبـتسـمـا قـائلا «أهلا منى» كيف حـالك وحشـتينى ، يسـتوقف سيـارة أجرة ليذهـبا كالعـادة إلى أول مكان شـهـد أول مـوعد منذ سنوات بينهـمـا ولازال يشـهده، فى هذه المرة لمحت فى عينى (ماهر) شيئا مقلقا، إن كل تصرفاته معها مقلقة منذ البداية فقلما يأتيها فى مواعيده وأعذاره، لا تنتهى وأعماله تمنعه من أن يفى بذلك مـعـهـا وكم من مـرة وقـفت وحـدها تنتظره مـعـرضـة لسخـافات المارة دون أن يأتى وإذا مـا عاتبته فى ذلك أدرج الأعذار الواهية فتحـاول أن تصدقها إلا أنه فى الآونة الأخيرة كان ملتزما بعض الشىء إلا أنه أسـقط فى نفسـهـا تسـاؤلات لم تبـحث لهـا عن إجابة، برغم وعده أنه سوف يزور الأسرة قريبا وأن الظروف بدأت تسمح بذلك ولكن لم يحدد متى وكيف، كان يكفيها أنه سوف يأتى وأن فى نيته غرض شريف لابد من تحقيقه فى الوقت الذى يناسبه هو أما هى فسوف تحتمل وتنتظر ويكفيها من الدنيا هو وأنها فى النهاية سوف تستقر روحا وجسدا على أعتاب منزلهما الشرعى ،

هذه المرة كان شاردا بعض الشيء ولما سألته : ثمة شيء تحجبه عنى أليس كذلك؟ أهناك ما يزعجك؟.. بتنهيدة وشجن وابتسامة خفيفة قال لها:

شيء واحد فقط بل أشياء.. لا عليك دعينا الآن من هذا الأمر.

هي: أخبرني أرجوك ماذا بك؟ قبل يدها ونظر إليها: لا شيء حبيبتى لا شيء!

كان الوقت تملأه المودة والحنان فمر سريعا أسرع من أى وقت سبق ودعها على موعد بلقاء جديد، تقول فى نفسها: ما الأمر يا ماهر ترى ماذا به؟

(٣)

فى العمل أخبرتها بعض الصديقات أنها شاهدت (ماهر) فى الشقة المقابلة لهم فى زيارة لجارتهم وكان يصحب معه امرأة وولدين صغيرين علمت بعد ذلك من جارتها أن ماهر متزوج من بنت خالتها منذ أربع سنوات وأنجب منها هذين الطفلين.

وقع الخبر عليها كوقع الصاعقة ولم تعقب على ما تسمع وما ان دخلت البيت هرعت إلى حجرتها تغلقها تأكلها نيران الخيبة والخديعة وتنساب فى جسدها دون شفقة أو رحمة وهى صامتة تجلس القرفصاء فوق سريرها تنهمر الدموع كموجات عاتية انساقت فى خضم إعصار مدمر ولسان حالها يقول (أربع سنوات من الكذب، نأى بىَ إلى عالم خال من كل ما يحوى الحقيقة بين يدى إلا منه تلك الكذبة التى سيطرت على العقل والمنطق امتص جميع الحقائق حتى يقبع فى فجوة الكذب وحده... ياربى ماذا أفعل ما عدت احتمل هذا

الألم المدمر وحدى، إن أعضائى تتمزق وعقلى قارب على الجنون)

حاولت أن تتماسك تتولد لديها رغبة فى أن تجوب الشوارع تريد أن تسير وتسير دون توقف ربما أخمد هذا جذوة جمرات تتراقص فى صدرها، تخرج من منزلها استطاعت بعد عناء أن تصل إلى منزل صديقتها سهام التى أذهلها ما ألم بصديقتها احتضنتها وهى مذهولة مما تراه وأن حدثا خطيرا قد ألم بمنى كانت الآلام تتصاعد تشق صدر السماء إذا ما شقت صوتها والألم الذى راح يعربد فى صدرها يقطع أوصال الحياة بينما الحسرة والمرارة تشتتان العقل وتلقى بالحكمة لأرصفة الليالى الضائعات ، ربما ظننت أن ما تعانيه هى فى تلك اللحظات هو أشق بكثير من خروج الروح من الجسد، إنه الموت البطىء بل إنه اغتيال من نوع آخر، كانت تعانى وحدها لأجله، توارى أساها مخافة أن تمس طرف مشاعره بأذى أحب مثل حبها يستحق الطعن؟. هى الآن تهوى إلى قاع لا تدرى مداه، تعانقها الصديقة، تحاول أن تكتم آهاتها فى صدرها وهى كالتى قد مستها روحا غير روحها تعربد بشرايين التعقل تدعم فيها السخونة والتوتر والتمزق ، ثم راحت تتململ على الأرض كأنما داء خبيث راح يواصل القضاء عليها ، سكنت الآلام ولم تهدأ إلا على أحد الأسرة بالمستشفى ليقرر الأطباء أنها حالة انهيار عصبى شديدة.

بعد أيام عادت إلى منزلها مطفأة العينين هزيلة النفس والروح غاب فيها أى أمل فى البقاء وأن الحياة باتت ثقيلة بكل ما فيها وما عليها لقد تبدل الكون وانقلبت الأمور رأسا على عقب كأنما كانت فيه منذ سنين من صور الناس والشوارع والحياة بشتى ملابساتها ما كانت سوى حلم جميل وتفاؤل جم وابتسامة عريضة متسامحة

تستوعب حماقات الكثيرين دون أى ملل أو ضجر ربما كان هذا مثل إغفاءة اغتالها الضجيج وعراك الناس فى الشوارع وتخللها كذب الباعة، والبؤساء واليائسين من قريب أو بعيد، ياه .. عالم غريب تراه اليوم بشكل مغاير ونظرة عجيبة إنه نفس عالم الأمس مع فرق الإحساس به اليوم، تتنهد: تبا لهذه الحياة التعسة هل لى أن احتملها وأن أتعايش معها بهذا الكم من الغربة!

هدفان يتناحران فى صدرها هل لديها القدرة على الابتعاد وكيف لها أن تثأر هذا هو شغلها الشاغل .

بعد أسبوع ، حاولت الاتصال به فى عمله تمنت ألا يدعى الأعذار كما تعودت منه، كم من ليلة باتت فيها مهمومة على أثر مشاجرة بينها وبين والديها لرفضها كل من تقدموا لخطبتها، هجرها الأخوة لشكهم فى سلوكها وتحامل عليها الأهل لعدم وجود سبب حقيقى للرفض، كل هذا احتملته دون أن تخبره كانت تشجعه على التقدم لها ولو بدبلة أمام الناس ليكون الأمر سهلا عليها بعد ذلك فتتمسك به ولكنه كان مراوغا ، أعذاره كثيرة جدا يطلب التأجيل لحين ميسرة وهى تقدر وتتغافل وتتجاهل هذا الشعور الذى طالما لح عليها بالشك فيه وا ̃كن ما تصورت أبدا أن تكون هى الخيانة مع سبق الإصرار والترصد، وتذكرت مرات عديدة أثناء الخصام كانت تقول له فيها احذرنى فإذا ما مللت ووجدت منك الخداع سترى امرأة أخرى غيرى فانتهز صحوة حبى ولا تجعلنى خصما لك، كان يضحك منها وكأنه يقول فى سريرة نفسه لا تستطيع بالطبع..!

يمضى يوم ويومان تعاود الاتصال مرة أخرى فيخبرها أنه مشغول جدا تخبره بعصبية شديدة أن أمرا جللا قد حدث ولابد له

من الإتيان، ومع إصرارها ينهى المكالمة بالموافقة انتظرته فى نفس المكان ، بركان المواجهة يرغب فى الانفجار ، كانت تعرف تمام المعرفة أنها ضعيفة جدا وأنها تحبه جدا جدا فهل بعد الانفجار تستطيع أن تلملم أشلاءها لتحيا بعدها ضائعة مشتتة أم تغفر وتستمر وتتناسى لا لا هى تعرف بما ستؤول إليه النتائج إنها الآن فى محض مواجهة ، تأخر كعادته تردد فى نفسها المتوترة القلقة الضائعة: يارب أغثنى مما أنا فيه أعطنى الصبر، هاهو قد أتى أخيرا بابتسامة غير مسئولة تجهل وبال عارها، يسألها : هيه ما الأمر .. أكارثة حلت بالعالم؟

(تحاول أن تسيطر على انتفاضة جسدها المضطرب) : نعم هى كارثة بالفعل..

يسألها فى دهشة بصوت فيه لهفة: ماذا بك ما الأمر؟

ولكن من أين تبدأ الحديث وهى فى هذه الحالة : ماذا تقول له وبماذا سوف يخبرها دار بخلدها مقطع القصيدة كانت ترددها قبل أن تكتشف هذه الطامة (أجبنى أن سألتك هل صحيح حديث الناس خنت ألم تخنى) وهاهى الظنون كلها تتحقق واضحة غير خجلة من حقيقتها وقد تجسدت الخيانة فى ثوبها المشروع حتى تبطش بأى عتاب وتفر من أى عقاب ، فجأة تفر من شرودها متفوهة بسؤاله: هل أنت متزوج؟؟؟

- ألهذا السبب أتيت بى أنت مجنونة لقد أخبرتك قبل ذلك لا طبعا

- احلف

- أمروا اللص بأن يحلف

- فهل تعنى بأنك لص

- يووه

تستكمل حديثها وتسرده فى تؤدة وشجن، يسايرها بصيص من أمل فى براءته بينما راحت الدموع تحاصر حنجرتها تحاول اختناق الصوت فيها تقول: لا تنكر فقد اتضح وافتضح أمرك عندى، أنت بالفعل متزوج وعندى الدليل ففى يوم كذا فى زيارة أنت وأسرتك إلى عمارة كذا وزوجتك اسمها كذا وأعلم أيضا من الذين قمت بزيارتهم.

يرد فى برود مصطنع ربما حسبته ذهولا: هل أنا تحت المراقبة؟.

ترد مصوبة بصرها إليه تحملق فيه وتدور حوله: أجل بالفعل أنت مراقب، ودعك من هذا الهراء وأخبرنى لماذا استبحت خداعى وأهدرت، كل هذه السنوات، لماذا لم تنهرنى وتأمرنى أن أبتعد بدلا من الأعذار التى أنهكتنى وأرقتنى وشتتتنى وأسرتنى فى غرفات الحيرة والقلق، لماذا؟ تنسج معى الأحلام فى الطرقات آملة بيوم لن يأتى أبدا وحدك كنت تعرف أنه لن يأتى أبدا، وأنا كالبلهاء أراهن بعمرى لأجلك وأسقط عن سمعى أى محاولة للبداية بدونك، عشت لك ومعك وبك وأنت تسعى وتحيا حياة هانئة سعيدة فى ظل بيت وزوجة بل وأولاد.. (تبكى) أولا .. من غيرى ماذا اسميتهم ألم نختر الأسماء سويا! أخترتنى لأشاركك اختيار أسماءهم وقد أتيت لهم بأم غيرى، تتركنى أنسج ثوبا لن أرتديه أبدا، أحلم بأيام قادمات أسقطها من مستقبلك وكانت هى كل مستقبلى.. لماذا لم تسألنى الرحيل عنك(شاخصة عينيها فى عينيه بينما كانت عيناه تصوب بعض الخزى إلى الأرض) ألم تشفق على وأنا بين يديك أنتظر وأنتظر وربما أهلكنى هذا الانتظار والغربة ويقترب عمرى من الاحتضار

أيعجبك هذا العشق العقيم، لماذا بربك لم تخبرني بالحقيقة لماذا؟ لماذا؟(تتابع قطرات الأسى مجراها لتغسل وجهها فيها آهة تتململ فوق شفاهها ، فإذا به يرد في هدوء ويربت على كتفيها.. صحيح كل ما قلته أنا بالفعل متزوج لم أخبرك بذلك لأني كنت أخاف من هذا الموقف الذي نحن بصدده الآن ، كنت أخشى أن أفقدك للأبد وأنت تعلمين تمام العلم أنني أحبك ولا أستطيع أن أتخلى عنك تزوجت من قريبة لي لأنها كانت رغبة أبي ولا مناص منها وكان في آخر أيامه فلم أجرؤ على مخالفته فصار هذا واقعا رغما عني هذا هو الأمر برمته... ولكن أقسم لك أني ما أحببت ولن أحب غيرك(صمت قليلا ثم استكمل هامسا): هل تستطيعين التخلي عني هل لك القدرة في ذلك!!

ـ في صمت يائس: لست أدري دعني الآن وحدي..دعني وحدي.. أتوسل إليك أن تنصرف .

ـ قال ملبيا ومنهيا الحديث: سأتركك الآن حتى تهدئي تماما ثم نستكمل فيما بعد!

لابد لها من قرار الآن وإجابات على بعض الأسئلة فإن لم تحتمل فراقه فهل تملك القدرة على الغفران وإن غفرت هل تقبل أن تأتي في حياته في المرتبة الثانية بعد أن حلمت بالمركز الأول بلا منازع بل إنها ستفقد المركزين لتأتي لتحتل المركز الثالث بعد الأولاد فهل ترضى!

كان التفكير مؤلما واتخاذ القرارات مرهقا خاصة في هذه الحالة والرضوخ في قبول الأمر الواقع شيء يتطلب مقدرة عالية وتسامح وصفح وقدرة على النسيان هذا إذا ما ارتضت باستمرار الوضع

على الأساس الجديد.

بعـد مـرور عـدة أسـابيع من هذا الموقف ظل مـاهر يطاردها باتصالاته مؤكدا لها أنه يحبها ولا يستطيع العيش بدونها وتتتابع الأيام وتنهال الاتصالات والتوسلات الشيء الذى كان نادرا ما يحدث، هدأت الجراح قليلا ولكنها لم تخلد إلى زوال، تذكرت صديقتها سهام وموقفها الذى كان بكل تداعياته، استعرضت العلاقة كلها مرة أخرى وقررت أن تغفر لأنها ببساطة لا تستطيع أن تتخلى عنه برغم مساوئه وأخطائه لقد صار فى حياتها تاريخ فهى تحبه حتى النخاع وإن كان هناك زوجة وأولاد فلن تكون سببا فى تعاستهم وستعمل بقدر المستطاع على إسعاد الجميع إذا فقد غفرت..!، بعد أيام استطاع ماهر كعادته أن يسيطر على الموقف كلية لصالحه ، عاد كل شىء رويدا رويدا إلى طبيعته الأولى وفرغ ماهر من مهمة استعادة الثقة ومد جسور المودة مرة أخرى بينه وبين الحبيبة، وكعادته عاد إلى ما كان عليه من تهرب وهجر، فأرسلت إليه رسالة تخبره أنها سئمت هذه اللعبة وأن كان كل شىء عاد كما على الأساس الجديد وقد قبلت هى هذا لكنها لن تستطيع أن تتحمل أكثر من ذلك.

لم يأت لها أى رد كالعادة، تعاود الاتصال فى بيت العائلة فهى لا تملك إلاهذا الرقم التليفونى سعدت جدا عندما وافاها بالرد سريعا يحدثها بصوت ملهوف سعيد.

- هى : ما الأخبار

- هو: على مايرام أما آن لى أن أرى القمر

- هى: أتمنى

هو: أنا مستعد للنزول فورا في المكان الذي تحبين ، لكن قبل كل شيء أنا اليوم مرهق بعض الشيء ولم استعد تماما فأرجو ألا تنزعجي من هندامي عامة... هيه ماذا سترتدين ليتسنى لي معرفتك بسهولة!!

هال مني ماسمعت يحدثها على أنها صيد جديد أهذا هو صوته أنه يعطي امرأة دوني موعدا للمقابلة.. أنا يخونني أنا مرة أخرى بعد كل ما حدث، ياربي أكاد أن أجن، يخون زوجته ويخونني ويخون الجميع فلمن يخلص هذا الخائن؟

ذهبت متأنفة لمقابلته وعلى وجه السرعة لتجده واقفا منتظرا مشوقا لامرأة يخونها بعد حين يمارس معها مرافقته، أطلت برأسها عليه تتفحص وجهه فلما رآها أسرع إليها ونهرها بصوت معقول (هل أنت محتاجة لكل هذا حتى تقابليني؟ بالفعل كنت أعرف أنك أنت ولكني أردت أن أتأكد فمنذ فترة تطاردني امرأة باتصالاتها في العمل وفي المنزل فأردت أن أعرف من هي هذا هو الموضوع) نظرت له باستهزاء وسخرية (من فضلك أوقف تاكسي) ظن أنهما سيذهبان إلى المكان المعهود لكنها ركبت وانصرفت وتركته واقفا يتلفت في ذهول، يتحتم عليها الآن اتخاذ القرار فما بالها تبطيء الخطأ في اتخاذه وهو قرار معروف مسبقا وقد أقضت به من قبل في قضية مشابهة.

آثرت الترجل لتستعرض الأمر بمنظور جديد.. ماهذا الشيء الذي يتحكم في الإرادة حتى لا تقوى على الحراك بدونه؟ ما هذا الشيء الذي ينعش حياتك فتشعر معه أنك أخف من وزنك طائرا حالما مرات.. ومرات أخرى يودي بك في قاع الهلاك حتى أنك تتمنى

أن لو يأتيك اليقين فتستريح فلا تشعر بضعفك ولا بقوة الآخر وسيطرته على إرادتك ، هل هذا حب أم أنها العادة، فإذا ما تخلينا عنها تدريجيا بدت لنا نتائجها الإيجابية بعد حين .. فالأحباء يفارقوننا إلى دار الآخرة، تكون الفاجعة كبيرة فى البداية ثم تتناولها الأيام وتقتص من شبح الأحزان فيها ، يندمل الحزن و،تبدأ تدريجيا رحلة النسيان دون أن نشعر أو ربما كان التعود على حجب الكائنات والأشياء هو السبيل لنسيانها، استساغت (منى) تلك الفكرة فأقبلت عليها بنهم تضع لقلبها الشقى خطة فى ذلك، كانت تعلم أن أيام الفطام من أصعب الأيام التى يواجهها الرضيع ولذلك يفطم تدريجيا، فنفسه هو الحال معها فلابد لها من محاولة، وإنها لمحاولة سرية فإذا باءت بالفشل فكل شىء بينها وبين ماهر على ما يرام حتى تجد معه فصل الخطاب، وهذا يتطلب إرادة قوية، وقد كان، لقد بدأ بالإهمال وهو أول ما تتضمنه الخطة، فى بادىء الأمر كان الأمر شاقا وصعبا، التليفون هاهو أمامها وما عليها إلا أن تلمس الأرقام وتسمع صوته الذى يهز أعماقها ويضفى على وجهها ونبضاتها الحياة والسعادة... هيا اتصلى الآن.. لا لا يارب أعنى.. أعنى يارب.

مر اليوم الأول بسلام والحمد لله وفى اليوم التالى أرهقت نفسها فى العمل واندمجت فيه دون أن تنسى رغبة الاتصال لحظة ولكنها أجزمت على الإهمال، مر على ذلك أسبوع بعدها يأتى اتصاله ورغبته فى المقابلة كادت أن تطير فرحا ومن المؤكد أنه استشعر ذلك وتحدد الموعد الذى صممت فى عمق نفسها أنها لن تذهب فيه..

«اندثرت اللهفة ولم تخبو الذكرى فلم تنجح العادة بوأد مشاعرى

لكنها نجحت فى وأد كيان استحل فى براءة الجوهر ونجح فى اغتيال أحلامى وجرح لا أظنه يندمل وإذا ما اندمل فآثاره شاهدة على جرم فاعله أحل الله جراحه كما استحل خداعى ، تراه ينتظر فى نفس المكان والموعد تمر من بعيد بسيارة أجرة تراه واقفا منتظرا حائرا كما كانت هى بالأمس ، تراه يروح ويجيء متوترا سبب لها ذلك غبطة فى النفس ونقطة تتحسب لها حسب الخطة الموضوعة والتى شعرت معها أنها ثأرت لنفسها بعض الشيء بها، مر على ذلك أسبوعان اتصل خلالهما كثيرا فى كل مرة كان الحديث هادئا تخبره فيه أنها مقصرة وأن عليه أن يغفر لها ذلك وأنها قد اشتاقت إليه كثيرا وتتمنى أن تحظى منه بلقاء.

فى اتصال ، أخير أحست من خلاله أن فى نبرته شيئا جديدا، وربما كان صوته متشحا بالشجن يعلوه صدق مشاعر، هذه المرة كانت أصدق المرات وهذه المكالمة كانت من أصدق المكالمات وكلماته المشوقة كانت تبرهن على صدق نواياه ولكن هيهات سوف تغلق باب العفو فيها آمالا طالما خذلها الرجاء فيه، هل ما تسمعه هو هو حاله أمن أن ما تستشعره فيه من صدق هذه المرة هو ما تأمل فيه أن يكون لذلك هى تترك الأمر كلية بما يشوبه من حيرة وراحت تكمل الخطة بقلب كاد أن يضمر وتعتذر عن عدم إتيانها فى المواعيد وتؤكد له فى غير صدق أنها فى القريب وسوف تأتيه وأنها الآن مشغولة جدا وأنها تفتقده كثيرا و... و...

بينما دمعتان أخيرتان تنحدران فوق فوهة السماعة.

انتظار

هذه المساء الصافية وهذا الأفق البعيد والشمس من جسمى دانية تلدغ جلدى وأنا بالمرفأ أنتظرك.. أودع البواخر وأستقبل باخرة لست فيها، وكلما ودعتنى الشمس وتنحت عن عذابى بلهيبها المنبعث إلى خلاياى كلما دمعت عيناى لارتحال الأمل بمغيبها عنى، أبكى نارا تستعر فى قلبى، فى صدرى .. فى تكوينى وزت بعيد عنى..

واقفة أنا ودوننا البحر الممتد مترامى الأطراف أمواجه تلطمنى .. تعاندنى تصفعنى وأنا صامتة محتسبة .. ولربما عنادها تحول إلى رحمة يوما ما وأهدتنى حبيبا أنتظره من شروق الشمس حتى انجلائها.

سنوات العمر مرت يامن بيده نبض حنينى وجمال تكوينى، سنوات مضت وأنا مازلت انتظرك... فلماذا انتظرك وما حددت موعدا لعودتك؟

ما جدوى انتظارى طالما لا أمل؟

لا لا إنك أنت الأمل.. أتلفح الدفء من رسـائلك وأطوق بأحلى كلماتك... أنا لا أعلم ما سبب السكون والغياب، غير أنى أعلم أن الشمس إذا ما غابت لابد لها من يوم جديد، وأن الليل إذا ما أقبل لابد وأن يدبر، وينبثق الصبح عن أمل والأمل حياة والحياة قلب وأنت قلبها.

يا حبيبى إن كل ما خططته إليك من رسائل كان قلمها وجدى

ومحبرتها دموعى التى لا يعرف الجدب إليها طريقا..

حبيبى أنا فى الميناء أنتظرك علك تعود اليوم أو فى أى وقت، مازلت حتى اليوم انتظر لمحة من وجهك المضىء تعيد إلى نفحة من نفحات السعادة والنشوة وأنا بين يديك، فأنت تعلم أنك حبيبى، وطفلى الشقى وتعلم أنك حارسى وأن عينيك وطنى، أخبرنى أرسل لى رسالة أخيرة على وعلها تؤنس وحشتى بعدك.

لن يعرف اليأس إلى صدرى طريقا ولن تفقدنى الموانىء حتى تعود، وستجدنى فى أحسن حال وأجمل ثياب فأنا منذ الصباح مع أول شعاعات الشمس للأرض أقوم فأتوضأ وأصلى.. أحمد الله وأسبحه وأدعوه أن تعود.. ثم أخرج من بيتى التهم الطرقات حتى أكون على رأس المستقبلين فى الميناء، أستقبل الأفواج المختلفة أفتش عنك أتابع أدقق النظر وربما أطيله فى من هم يشبهونك قليلا أو كثيرا، عيناى تبحث .. كل خلاياى تبحث ، حتى أنفى يبحث عنك ، يتمنى أن يشم رائحتك ، أود أن أحبس أنفاسى فى صدرك، أود أن أبلل قميصك بدموعى وبعدها أسجد لله شاكرة على أرض الميناء أن أعادك إلى مرة أخرى، كم تمنيت من الله عز وجل أن تأتى، كم نذرت نذورات كثيرة سوف أوفيها حتما عندما تعود إن شاء الله حتى أننى تمنيت أن لو تأتى ولو ليوم واحد تغتال فيه وحدتى وأفوز بك ثم بعدها.. أموت ، لا أريد من دنياى شيئاً سوى أن أغمض عينى قبل الموت وصورتك ملء عينى أطبق جفونى عليها ثم أعود إلى ربى.

مازلت على العهد لن أبرح الموانىء حتى تبرح الأيام عمرى وأنى أعجز عن معرفة عنوانك ولأنى أجهل موعد قدومك، أطمع فى كرم كل ربان سفينة ترسو بشاطئنا وأؤمنه على رسالة ربما يعرف هناك أحد

يرسلها إليك، هذا أمل ضعيف أعرف.. ولكنى مازلت أتعلق ببقايا الأمل حتى لا أغرق، وأعلم أنى بعد غيابك كالمكان المهجور يسكن فيه البوم، وتمرح فيه الأشباح، ويغشانى الليل بليل جديد فلا أجد لظلمة أيامى نورا أو نهارا، حنين العشاق جميعهم يتوسط صدرى، فلا تجعل الحنين يحفر جدران القلب في دمى بقاياه، وما أرى لى صبرا على ما أنا فيه سوى عبق أنفاسك يلازم أنفاسى، ويسكن فى خلاياى، وصدى فرحة الأيام السالفة يؤنس وحدتى، ويطمئن روحى ونداء القلب إليك عد وكفانى ما لاقيت من فرط غيابك عد فما زلت فى انتظار...

المحتــوى